فتحي العشري

ألوان العصر



الناشر
المكتبة الاكاديمية
شركة مساهمة مصرية
٢٠٠٦

حقوق النشر

الطبعة الأولى ٢٠٠٦م - ١٤٢٥هـ

المكتبـــة الأكاديميـــة

شركة مساهمة مصرية

رأس المال المصدر والمدفوع ١٨,٢٨٥,٠٠٠ جنيه مصرى

١٢١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون : ٧٤٨٥٢٨٢ - ٣٣٦٨٢٨٨ (٢٠٢)

فاكس : ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

ألوان العصر





إهــداء

يوسف فرنسيس

عصفور الشرق والغرب

فتحي العشري





سيظل الفن أحد المسارات الحيوية في تاريخ تطور المجتمعات مادياً وفكريـــاً في إطار منظومة القيم باعتبار اللغة الفنية لغة تواصل حميمة تتصل بمختلف النشاطات الاجتماعية الفنية والمتغيرة والخلاقة ، خاصة في ظل السعي الدائم لتخطي ذاته واحتـــواء العالم المحيط به بهدف أن يوحد بينه وبين الآخرين .

وفي ظل عالم متغير تتلاحق فيه الأحداث وسبل الاتصال السريع بشكل يتجاوز قدرة الفنان على التأمل والرصد ؛ يتحمل الفنان الآن عبء التعبير عن الواقع ، وهو الأمر الذي جعل العملية الإبداعية في حالة تفاعل دائم مـــع معطيات مرتبكة حيث تنامى صعود إقليميات وظهور قوميات جديدة تفرض أشكالاً لتعددية الرؤى الثقافية ... وهي التعبير عن إنسان العصر بكل آماله وطموحاته وأيضاً همومه وتطلعاته .. وتحت مظلة دولية يصبح الفن تعبيراً حياً عن اللحظة التي تواجهها البشرية ، مع اختلاف التوجهات والأساليب والرؤى الإبداعية .

فاروق حسني
وزير الثقافـــة





تقديـــم

الفنون هي إفراز الحضارة التي تنبع منها . وفي الوقت نفسه فهي من أكبر المؤثرات في كل بناء حضاري وهي التي ستبقى كتاريخ لكل حضارة .

الفنون تنبع من الوجدان . الفن فكر في أقله ووجدان في أكثره ، بينما العلم وجدان في أقله وفكر في أكثره .

الوجدان أسمى وأعمق وأروع من الفكر بأكثر مما نتصور .. الوجدان متصل دائماً بالعقل الكوني فهو يعمل بقانون الوجود نفسه .

الفن ينبع إذن من الوجدان مما يجعله يصل إلى وجدان المجتمع بسهولة ويسر أكثر من النظريات العلمية .

البصر جانب هام جدا من عناصر الإدراك المباشر الملموس ، في حياتنا اليومية . إنه إدراك محدود ، وهو يمهد إلى خطوات يتلو بعضها البعض في دائرته .

والبصيرة لا حدود لها ، فهي أبعد وأعمق وأوسع وأشمل ، وأعجب من البصر .

وحين لا يستطيع الإدراك المباشر أن يتخطى حدود الواقع فإن البصيرة تنطلق إلى آفاق سامية مذهلة ، لا تخطر على بال ، إنها عماد الروحانيات والفن .

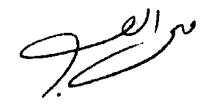


مُقَدِّمَة

هذا كتاب يقدم نفسه ، فلأول مرة لا أجد ضرورة لتقديم أحد كتبي ، وكنت قد إعتدت على تقديم كل ما أنشره من كتب سواء كانت مؤلفة أو مترجمة .. إلا أن هذا الكتاب " **ألوان العصر** " له طبيعة خاصة تقترب من الطبيعة الخاصة لكتاب سابق لي هو " جرنيكا .. أزمة إنسان العصر " ، فكلاهما يحمل فكرة ينطلق منها ، فكرة الجمع بين التأليف والترجمة ، فالكتاب الأول يضم كل الأعمال الأدبية التي كتبت عن القرية الأسبانية الشهيرة " جرنيكا " بعد تدميرها في ظل فرانكو ، مسرحية وقصيدة وسيناريو فيلم سينمائي ، فضلاً عن لوحة بيكاسو المعروفة ، وهذا الكتاب يضم القصائد التي كتبها إيلوار عن عدد من أبرز التشكيليين في زمانه ، وقد

ترجمت هذه القصائد وأضفت إليها دراسات عن هؤلاء الفنانين وعن الشاعر نفسه ، فضلاً عن لوحاتهم ..

فكرة بسيطة ، ولكنها فكرة للإلتقاط والتطوير ، وهذا ما اهتديت إليه، وهذا ما قمت بإنجازه .. وأملي أن أنجز كتاباً آخر في الاتجاه نفسه " ألوان العصر المصرية " عن عدد من أبرز التشكيليين المصريين في زماننا ، على أن يقـــوم أحد شعرائنا بكتابة قصائد قصيرة عنهم ، وهي الفكرة التي كنت قد طرحتها على شاعرنا الراحل صلاح الدين عبد الصبور ولم تشأ الأقدار.. نحن إذن على موعد ، إذا شاءت الأقدار !



المحتويات





(بول ايلوار) .. الشاعر
(١٨٩٥ - ١٩٥٢)

ممشوق القوام ، مستطيل الوجه ، نافذ العينين ، حاضر الذهن ، مرح الطبع ، صوته أجش في الحديث وفي إلقاء الشعر ، شعره وشعر الآخرين .. أنيق المظهر ، متزن التصرفات ، رقيق التعامل ومدخن شره .

ولد " بول إيلوار " في سان دونيس عام ١٨٩٥ ، وتزوج من سيدة رشيقة هيفاء ووقور اسمها " نوس " ، ظلت ظله ، وظلت " موديل " شعر الحب الذي حظى بالكثير من قصائده الناعمة العذبة .

تأثر " إيلوار " في صباه بشعراء الذات الثلاثة " جورج دوهاميل " ، و " رونيه أركوسي " ، و " ولابيه دي كريتال " الذين برزوا في أواخر القرن التاسع عشر .

في العشرين من عمره بدأ " إيلوار " يبحث عن لغة خاصة به ، ولكنه سرعان ما وجـد في السوريالية شكلا مناسبا للتجديد الشعري الذي يحلم به، وأسفرت غنائيته في الشعر عن اكتشاف علم خاص بالكلمة ، يستمد مضمونه

من المأثور الشعبي ، والحكم والأمثال المتداولة . ولهذا حاول "إيلوار" أن يفيد من تراث الشعر الفرنسي بعد أن اقتطف لنفسه " مختارات شعرية " يلجأ إليها ، ويبث فيها الحياة من جديد ، وبشكل أكثر حدة .. وأصدر " إيلوار " هذه (المختارات الشعرية) عام ١٩٥١ ، قبل وفاته بعام واحد .

أما أشعار " إيلوار " التي نظمها في فترات متقطعة ، فقد صدرت في عدد من الدواوين أولها (عاصمة الألم) عام ١٩٢٦ ، ثم (الحب والشعر) عام ١٩٢٩ ، ثم " الزهرة للجميع " عام ١٩٣٤ ، ثم (الموت لعدم مجئ الموت) في العام نفسه .

وعبر " إيلوار " بشعره إلى مرحلة أخرى أسماها (مرحلة البساطة) جاءت على العكس تماما من المرحلة السوريالية الأولى ، وظهرت أشعار هذه المرحلة في ديوان (العيون) ، عام ١٩٣٦ وفيه عاد إلى اللغة السهلة البسيطة والخالية من تعقيدات الخيال .. فهو هنا يخاطب كل الناس بلغة كل الناس ، ويستخدم الكلمات العامة التي يتداولها الجميع .. ومن هنا ظهرت براعته في التواصل السريع بينه وبين القارئ أو المستمع من خلال شعره .

وتوقف " إيلوار " فجأة عند مرحلة طارئة أسماها (المرحلة الملتزمة) ففي عام ١٩٣٨ هزته أحداث الحرب الأهلية الأسبانية وضحيتها الشهيرة بلدة " جرنيكا " التي نعاها ديوانه (عبرة الطبيعة) ، ثم اشتد انفعاله وأخذ يسير في هـــذا الطريق قاصدا نهايته عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، فاشترك في أعمال المقاومة شأن (شعراء المقاومة) لوركا ، وماكس جاكوب ، وسان بول رووه ، ونتيجة لجهده الخارق ، قضـــى أشهر في مستشفى الأمـــراض العصبية بسان ألبان ، بعدها طاف ببلدان كثيرة ، وتوقف فترة في سويسرا ليصدر فـــي العام نفسه ١٩٤٢ ، ديوانه الأول عن المقاومة بعنـــوان

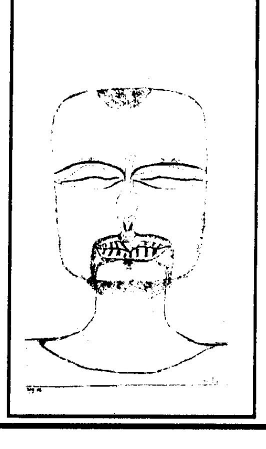
(الكتاب المفتوح) ، وأصدر في العام التالي ديوانا آخر بعنوان (شعر وحقيقة) وأصدر في العام الثالث ديوانا ثالثا بعنوان (الموعد الألماني).

ومرة أخرى تخف حدة التزامه في الشعر ، ولكنه يظل يعانيه كما يظل يغـــازل تلك اللغة البريئة التي اكتشفها مع شبابه ، فيصدر ديوانين أولهما عام ١٩٤٦ بعنوان (شعر غير مبتور) ، وثانيهما عام ١٩٤٨ بعنوان (القصائد السياسية) .

في كل هذه المراحل كان " إيلوار " يعبر عن الحياة والإنسان ، كان يحس إحساسا طاغيا بالعلاقة الشائكة بينهما ، تلك العلاقة التي تجمع دائما أبدا وفي كل الأحوال بين إحساسين متناقضين تماما : السعادة والشقاء .

وفي هذه القصائد " ألوان العصر " يمزج إيلوار بين موسيقية الشعر ولونية الشكل من خلال بعض مشاهير الفن التشكيلي المعاصر الذين رأى في ألوانهم وخطوطهم أصرخ تعبير عن روح العصر .. عصر الألوان أو ألوان العصر على حد تعبير إيلوار .. وفي هذه القصائد يحاول إيلوار أن يؤكد رؤيتهم الخاصة في نوعية العلاقة بين الصورة الشعرية والصورة التشكيلية، وكيف أن العلاقة بين كلا الفنين هي علاقة تكميل او امتزاج وتمازج ، فالصورة في الشعر وفي التشكيل ملونة على نحو ما يجعلنا نسمع الصورة ونرى الموسيقى وكأنما نستخدم العين التي تسمع والأذن التي ترى .

رحل " بول إيلوار " في الثامن عشر من نوفمبر ١٩٥٢ وكان شاهداً علـــى عصره ، وكان ضميراً لهذا العصر .. ولكنه استطاع أيضاً أن يتخطى عصره ليعبر عن إنسان كل العصور أو عن (الإنسان) في كل العصور .



(بولي كلي) .. موسيقار الشكل والمساحة

(١٨٧٩ - ١٩٤٠)

على المنحدر الخطر ، يفيد المسافر
من فضل النهار ، والندى بلا حصى
والعيون المزرقة بالحب ، تكشف عن موسمها
وهو يضع في كل الأصابع خواتم من الكواكب الكبرى

* * *

وعلى الشاطئ ترك البحر أذنيه
وتركت الرمال المحفورة على المكان آثار جريمة جميلة
أن العذاب أشق على الجلادين منه على الضحايا
والخناجر علامات والرصاصات دموع

قبل أن ينقضي عام ١٨٧٩م بثلاثة عشر يوما ولد " بول كلي " بالقرب من مدينة " بون " بسويسرا لأبوين سويسريين ، ولكنه نشأ نشأة ألمانية ، فقد التحق بعد تسعة عشر عاما من مولده ، بمرســم الفنان " كنيء " ، ثم بمدرسة الفنون " بميونيخ " ، وتخرج فيها ليمارس الرسم الكاريكاتيري ، الذي لم يتفق بسخريته اللاذعة ، وطبيعة " بول " الشاعرية ، فلجأ إلى التصوير بمعناه العريض ، متأثرا بالفن الحديث المزدهر في فرنسا .

وفي سنة ١٩٠١ قام برحلة إلى إيطاليا بصحبة " هرمان هيلر " وبعد سنوات قليلة قام برحلة أخرى إلى باريس ، ومع بداية عام ١٩٠٦ تزوج "كلي" من " ليلى ستامب " عازفة البيانو التي كانت تتلقى دروسا من والد "كلي" مدرس الموسيقى الشهير .

ظل " كلي " يمارس الفن في ميونيخ أربعة عشر عاما ، تعرف خلالها على حياة " الأخذ والعطاء " ، كما تعرف على فن الآخرين : (سيزان وفان جوخ) وعلى الآخرين وفنهم (كاندنسكي وفرانز مارك) وعرض معهما بواكير إنتاجه سنة ١٩١٢ .

وفي سنة ١٩٢٠ عين " كلي " مدرسا لمادة التصوير ، في الوقت الذي عين فيه " كاندنسكي " " وفاينتجر " لتدريس نفس المادة بمعهد " باوهاوس " بمدينة فايمار ، وبعد ست سنوات ، بعد أن تأكدت الصداقة بين الفنانين الثلاثة ، انضم إليهم " جافلنسكي " وكونوا جماعة " الأربعة الزرق " حيث عرضوا أعمالهم معا في طول ألمانيا وعرض أمريكا .

وعاد كلي من رحلته إلى مصر سنة ١٩٢٨ ليعمل أستاذا بأكاديمية الفنون الجميلة بداسلدورف " ولم يمنعه منصبه من زيارة سريعة لجزيرة صقلية سنة ١٩٣١ . ولكنه هجر ألمانيا تحت ضغط النازي سنة ١٩٣٣

عائـــدا إلى سويسرا ليستقر في " بيرن " حيث ولد وحيث أصيب في سنة ١٩٥٣ بمرض خطير لازمه حتى ودعه العالم في ليلة ٢٩ يونيو قبل أن ينتصف القرن العشرون بعشر سنوات كاملة .

لقد كان ظهور " كلي " في الوسط الفني أشبه بالخوارق ، فمنذ القرن الخامس عشر عصر ألمانيا الذهبي ، لم تشهد البلاد عبقريا مثل " كلي " ، كما لم يشهد النصف الأول من القرن العشرين فنانا مثله .. فنان يبتعد عن "الوحشية" و"التكعيبية" بقدر ما يقترب من " التعبيريه .. " الخالصة ، المتفجرة من ذاته هو وليس من ذات غيره ، حتى أصبح كلي أكثر الفنانيـــن التعبيريين الألمان جدة وعالمية، وحتى أصبح لا ينافسه في " التربع " فوق قمة التصوير الحديث غير " بيكاسو " أو بتعبير أكثر علما وأقل عاطفـــة أصبح لا ينافس " بيكاسو " على " عرش " الفن الحديث سوى " بول كلي " .

أما الفن الذي اختاره " كلي " ذلك الفن الذي أذابه وذاب فيه فصعب المنال مستحيل التكرار ، وان بدا سهل الطابع ، بسيط الشكل ، عضوي التعبير.. فـــن استطاع أن يرفض " الكليشيهات " الجاهزة والرؤى المطروقة، ليغوص في عالم خفي لا يعبر عن نفسه دفعة واحدة ، ولكنه يتكشف شيئا فشيئا كما لو كان حلما يجري تفسيره من خلال أحداث الواقع .

والواقع أن " كلي " لم يدخل عالم الفن فارسا يصول ويجول فوق جواده، يضرب بسيفه في صدر الفراغ فيصرع شيطان الفن ويفتح أبواب الخلود ، ولكنه ظل يرسم ويخطط ويلون طويلا وهو يقترب ببطء وتواضع من أسرار الخلود .. ومن هنا اكتسبت أعماله صفة العمق والتفرد ، حتى يخيل إلى المشاهد أنه أمام عالم من التيه والواقع أنها معان جديدة صاغها

إيقاع يسعى أحيانا إلى الوحدة ، وأحيانا أخرى إلى التجمع ، وأحيانا أخيرة إلى التكسير ، ولكن التوازن هو الذي يحكم الشكل العام في كل هذه الأحيان.

كان " بول كلي " معتدل المزاج ، هادئ الطباع ، ولذلك استبقى فنه في دائرة واحدة لا يخرج عنها ، وخط مستو لا تعرج فيه .. حتى أن أحجام صوره لم تزد أبدا عن ٣٠ أو ٤٥ سم . لكن هذا الفن المتوحد ولد كامل النمو والدسم ، مما جعله في غير حاجة إلى تطور أو تغير . وكان " كلي " يجاور " بيكاسو " من حيث الابتكار والحيوية ، كما كان يجاور " كاندنسكي " من حيث تدفق الألوان وثرائها .

وكما عثر " كلي " على لغته التشكيلية الخاصة ، عثر على رموزه الفكرية الخاصة كذلك . ولعل أبرز هذه الرموز في لوحاته هي تلك السهام التـــي تشير – اجتماعيا – إلى عالم الناس الداخلي – وميتافيزيقيا – إلى عالم الإنسان السفلي – وواقعيا – إلى عالم الأشياء الخفي .

وفيما عدا السهام ، نلتقي في لوحات " كلي " بعلب المنازل في المدينة ، وخطـــوط الأسماك في النهر ، كما نتبين شعاعا لضوء أو طيفا لسحب ، وكما نلمح مسالك الطرق والممرات ، أو كل ما يثير في الإنسان تلك التساؤلات الملحة التي لا تنتهي ، والتي لا تجد الجواب ، ولكن الفنان ينجح، بعد أن يجسد رؤاه ، في أن يجسد أيضـــا وبنفس المقدار حركة هذه الأشيـــاء الدائمة، أو ديمومة هذه الأشياء الغامضة .

وينتهي " كلي " من الفكر والشكل ليفرغ اللون ، يآخي بين الأزرق والزاهي والرمادي الداكن على مساحة مسطحة لا تموج فيها ولا انكسار ، وهو يديـــن في هذا لسيزان كما يدين له في تأكيده على أن الطبيعة ليست فيما يظهر ولكنها فيما يخفي في الأعماق ، بمعنى أن الألوان ما هي إلا

تعبير عن هذه القوى الداخلية ، ولهذا يصبح اللون جزءا لا يتجزأ من بنية اللوحة أو من بنائها .

ثم يتخطى " كلي " ، " سيزان " ليملأ فرشاه بألوان " الحوشيين " أحيانا، فيضع الأخضر فوق البرتقالي فوق الموف فوق الذهبي فوق الأصفر ، ولكنه لا يكدسها مثل الحوشيين ، فهو يصب ألوانه لا لتخاطب العين وحدها ، وإنما لتنفذ إلى الأذن بإيقاعاتها المتميزة ، كإيقاعات الأحمر والأخضر التي تظهـــر وجه القمر ذلك الضاحك في صمت الذي يشبه حلما يهيمن على عالم الأحلام .

وهكذا فإن الفن الملون لم يشهد تلك القدرة الفائقة ، والموهبة الخارقة على استخدام أقصى درجات الأبيض إلى جانب أقصى درجات الأسود ، بحيث تمتلئ ساحة اللوحة بالحركة .. وغالبا ما تكون هذه الحركة درامية في صميمها وتصميمها .

إن اللوحة الزيتية التي رسمها " كلي " سنة ١٩٢٩ ، تحت عنوان "شارع رئيسي وشوارع فرعية تكشف عن طريقة الفنان في الرؤية والحس ، فاللوحة تبدو وكأنها سجادة من السجاجيد القديمة النادرة المليئة بالشقوق ، المزودة بالقطع الصغيرة المتلاصقة والمشغولة على طريقة التنجيد ، في هذه اللوحة تظهر تلك الخطوط المحددة التي عرف بها " كلي " والتي تشير إلى الاتجاهـــات الرئيسية ، أعني تلك الاتجاهات التي تنفتح أمام ناظرينا . فإذا ما تركنا النظر يتبع أو يتابع هذه الطرق ، رأينا في النهاية أعماق الصورة أو أعماق الكون بحسب قوانين المنظور الهندسي .

وهكذا يبدو الشكل العام للوحة كما لو كان سهلا ممتدا محددا بشبكة "دقيقة" من الخطوط المتداخلة، هذا الشكل العام يحيلنا للنظرة الأولى إلى

منظر نهري، حيث تلوذ شواطئ الوادي الكبير بسطح النهــر العريق، أغلب الظن لأنه نهر النيل ، الذي ترك أثره عميقا في نفس " كلي " واضحا على فنه بعد أن قام في عيده الخمسيني بزيارته الهامة إلى مصر .

أما أهمية هذه الزيارة فترجع إلى " سر الخلود " الذي اكتشفه " كلي " من واقع مشاهداته للطبيعة وهي تمسك بأطراف الكون ، وتغوص في أعماق اللانهائية .

وبهذا الاكتشاف الحدسي استطاع " كلي " أن يتوج فنه بعد أن أضاف إلى تعمقه الوجداني المتفتح ، ذلك التعمق الفكري الخلاق ، لذلك جاءت كل اللوحات التي نقل فيهــا " كلي " الطبيعة المصرية عبارة عن محادثة بالألوان يجريها الفنان مع العالم من حوله .

وكما كشف " كلي " سر الخلود استطاع أن يكشف " سر الوجود " أو تلك العلاقة الجوهرية بين الطبيعة والكون من ناحية ، وبين الإنسان والأشياء من ناحية أخرى .

وفي هذا يقول " كلي " نفسه : إن العنصر المحدد من العناصر الأربعة وهي الهواء والماء والأرض والنار . لابد وأن يمتزج برؤى العالم ، فبعد مجابهة هذه العناصر بعضها ببعض ، لا أرى وجوداً لأي فن تجريدي ، ولا يبقى بعد ذلك غير التجريد الزائل .. إن المادة هي العالم ، حتى لو لم يكن هذا العالم هو العالم المرئي . ولقد تعمق " كلي " في دراسته العلمية للطبيعــة والنباتات بصفة خاصة ، واهتم بمــا أسماه " الإلمام بالأشياء المحيطة بالطبيعة والحياة " فكان يحتفظ في مرسمه بمجموعات مختلفة من هذه " الأشياء " بعد ترتيبها ترتيبا " عنصريا " ولم يكتف بتصوير النباتات "

الموجودة " فكان يتخيل نباتات " ما بعد الوجود " تلك التي قال عنها جوته " من الممكن اكتشاف نباتات العــدم ، هذه النباتات التي إن لم تكن موجودة بالفعل ، أمكنها أن توجد وأن تكتسب حقيقتها الملموسة " .

ولهذا لم يبتعد " كلي " لحظة عن هدف الفن منذ أقدم العصور ، أعني إعادة خلق العالم الخارجي .. فسار على طريق الهدف برؤى أكثر رحابة وأشد تجريدا ، ولكنه أضاف ما أسماه " الإجابة على تساؤلات الإنسان الخيالية " وإن كانت هذه الإجابات قصيرة وقاطعة وغير مرئية . ولهذا اعتبره " جورج شميد " أكبر واقعي في العصر الحديث .

وفيما بين عامي ١٩١١ و ١٩١٤ وبينما كان " كلي " يدرس باهتمام بالغ ، ويطبق بعناية أبلغ نظريات التكعيبيين والمستقبليين والتجريديين والأورفيوسيين كان يجري تجاربه المستمرة على " تكوين مساحة اللوحة " وشغلها بما يشبه الإيقاع الحركي ، وإضاءتها بالألوان المتموجة ، التي أصبحت الآن هي أساس فن " الأوب أرت أو الفن البصري " .

كان " كلي " يبدأ من النقطة التي تلد الخط الذي يتعدد وينتشر ويملأ المساحة الفارغة ، ثم يكون الضوء والظل ، إلى أن يأتي دور اللون ، فتنتهي اللوحة .

ولم يكن يشغل باله بالمحتوى فقط بل كان يعاني من البناء أو الشكل. ولم يكن يهتم بوضع عنوان للوحة ، ولكنه كان يعنونها في النهاية على سبيل الاستعارة الشعرية .

إن بصمات " كلي " تبدو واضحة في كل لوحاته ، وفي كل لوحاته تتضح الأعماق وتتكشف الأسرار ، فالطبيعة ترتعش رعشتها الأولى ، والزهور تتفتح عند السفح وفوق التل وعلى جانبي المنحدر ، والطيور

تزقزق في العش وعلى فروع الشجر .. إنه الوحيد من بين فناني العصر الحديث الذي استطاع أن يصور روح الطفولة في تلقائيتها وعفويتها بعقل الفنان الناضج وتأمله الواعي ، وإن كانت رسومه تنساب في حرية مطلقة وتسبح في ألوان لا تحديد ولا حدود لها .

وكما قدم الشاعر الفرنسي " لافونتين " قصصا تسعد الأطفال وتهم الكبار وكما قـدم الشاعر الفرنسي أيضا " أنطوان دوسانت أكزوبيرى " أشعارا تهيمن على أفئدة الصغار وتجذب عقول الكبار، استطاع "بول كلي" أن يكون المصور الذي يتنافس الأطفال والكبار كل منهما على ضمه إلى مملكتهـم ، وفي هذا يقترب " بول كلي " من " بول فاليري " يقترب المصور الشاعر من الشاعر المصور ، فيعلو الأول بفن التصوير إلى مستوى الشعر ، ويعلو الأخير بالشعر إلى مستوى فن التصوير .



(بابلو بيكاسو .. فنان القرن العشرين)

(١٨٨١ - ١٩٧٢)

Picasso

أسلحة النعاس إخترقت الليل
والأخاديد الرائعة التي تفرق بين رؤوسنا
من خلال الماس ، كل الأوسمة مزيفة
تحت السماء البراقة ، الأرض لا ترى

*

وجه القلب فقد كل ألوانه
والشمس تبحث عنا ، والجليد أعمى
إذا هجرنا الأفق ، فالأفق له أجنحته
ونظراتنا على البعد تبدد الأوهام

" بابلوخوزيه روبزبلاسكوار بيكاسو " ، ولد بمدينة ملقة الأسبانية في اليوم الخامس والعشرين من أكتوبر عام ١٨٨١ .

كان والده يعمل مدرسا للرسم بمدرسة الفنون بالمدينة ، ثم أمينا لمتحف المدينة وكان يهتم برسم الطبيعة الصامتة والطيور ، خاصة الحمام (ولعل هذا ما أثر على " بيكاسو " في اختياره الحمامة رمزا للسلام عام ١٩٤٩) ..

وأغلق المتحف فرحل خوزيه وأسرته إلى مدينة كورونا ليعمل مدرسا (بمعهد داجواردا) ، وفي عام ١٨٩٤ اكتفى الرجل بعمله وقرر أن يهجر الرسم لأنه لم يحقق فيه شيئا يذكر ، ويسلم ابنه كل معداته عله يحقق ما فشل هو فيه .

وفي عام ١٨٩٥ رحلت الأسرة مرة أخرى إلى برشلونة حيث عمل الأب .. مدرسا (بمدرسة لالونجا) ، واستهوت حفلات مصارعة الثيران الصبي الصغير (وظهر تأثره في أغلب لوحاته) .

والتحق " بابلو " ابن الخامسة عشرة (بمدرسة لالونجا) لتفوقه البالغ في امتحان القبول .. وعرضت لوحاته المبكرة في معرض مدريد عام ١٨٩٧ وكان والده هو موديله في معظم هذه اللوحات ، والتحق " بابلو " ، أكاديمية سان فرناندو بمدريد ، ولكنه سرعان ما ضاق بالدراسة الأكاديمية وقرر أن يتعلم من الطبيعة .

ومع مطلع العام الأول من قرننا العشرين سافر " بابلو " لأول مرة إلى باريس وهناك باع أولى لوحاته وكانت عبارة عن ثلاث مشاهد لمصارعة الثيران بمائة فرنك ، ولكنه عاد إلى مدريد قبل أن يكمل عاما واحدا ، ليصدر مع الأديب الأسباني " فرانشسكو سولر " مجلة أدبية فنية ، لم يظهر

منها غير عددين لأنه غادر مدريد إلى برشلونة ليقيم بها معرضا لأعماله التي وقع عليها لأول مرة لقب أمه وهو " بيكاسو " وتوجه مرة ثانية ، إلى باريـــس ليقيم معرضا أشاد به الناقد الفرنسي " فيليسيان فولجا " ، ولوحظ أن اللون الأزرق والشحوب والبؤس قد حلت جميعا محل الألوان الوردية والبورتريهات المبتهجة ، فقد أصبح " بيكاسو " يؤمن بأن الفن وليد الحزن والألم " وبالفعل عانى " بيكاسو " كثيرا في أثناء رحلته الأولى إلى باريس وإقامته القاسية على أسطح منازلها واضطراره إلى بيع لوحاته في حي "مونمارتر" ، ولعل هذا ما دفعه إلى التخلي عن رسم الطبيعة الصامتة ، والاهتمام برسم الإنسان والبورتريهات بصفة خاصة ، وبعد معاناة خمسة أعوام كاملة بدأت حدة الحزن والتوتر تخف في ألوانه وخطوطه وموضوعاته على السواء .

وهكذا التقى " بفرناند أوليفييه " التي اقتسمت معه أيام الشقاء ولحظات السعادة ، ولكنها كانت تعاني من الأعداء الثلاثة الذين أصبحوا بفضل "بيكاسو" أصدقاء : كلب ، وقطة ، وفأر . وكانت تعاني أيضا من عرى "بيكاسو" طوال إقامته بالمرسم ، ولكنها لم تكن تعاني من قصر قامة "بيكاسو" ، هذا القصر الذي كان يعاني منه هو نفسه ، وطالما حلم في بضعة سنتيمترات طولا .

ولم يكن " بيكاسو " قد بلغ الخامسة والعشرين عندما انتهى من لوحته الشهيرة (فتيات أفينيون) التي تعد بداية للمرحلة التكعيبية في فن " بيكاسو " ، هذا الفن الغزير والمتنوع ، فقد جرب مختلف الخامات ورسم بمختلف الألوان إلى جانب ممارسته للحفر والنحت .

واستمرت المرحلة التكعيبية حتى عام ١٩١٣ ، برزت خلالها لوحات الصور الشخصية وأغلفة الكتب .

وبدأت مرحلة (الكولاج) بأنواعه المختلفة فاستخدم ، " بيكاسو " في لوحاته الحروف البارزة وقصاصات الصحف ، وورق الحائط وقطع الخشب والرخام والرمل والمواد الأخرى .

وفي عام ١٩١٧ تعرف " بيكاسو " إلى (كوكتو) ، الذي عرفه بدوره بـــ " باجيليف " ليشتركا معا في وضع تصميمات للباليه الروسي الذي كان يعرض في إيطاليا .

وفي هذا العام نفسه تزوج ' بيكاسو " من راقصة الباليه الروسي " أولجا كوكلوفا " لفترة قصيرة أنجز خلالها تصميمات عديدة لباليهات مختلفة .

وارتبط عام ١٩٢١ بثلاث مناسبات في حياة " بيكاسو " الشخصية والفنية فرزق بمولوده الأول " بول " وطرق أبواب (الكلاسيكية الجديدة) ، وأدخل موضوع الأمومة إلى لوحاته التي لم تكن تعرف هذا اللون من العواطف الإنسانية .

وعندما صدر (مانيفستو) الحركة (السيريالية) الذي أعلنه الشاعر الفرنسي " أندريه بريتون " عام ١٩٢٤ ، كان " بيكاسو " يستخدم هذا الأسلوب (السيريالي) في لوحاته التي ظهرت في معرض " باريس " في العام التالي ، وكانت أبرز لوحات هذه المرحلة أولاها : (الراقصون الثلاثة)..

ومن عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٣٥ انحاز " بيكاسو " للنحت نتيجة للقائه بامرأة جميلة ، تزوج منها ، وأنجبت منه " مايا " .. وفي هذه الفترة ، صدر

أول كتاب عنه من تأليف " بونهاد " وعددا من القصائد في (كراسات الفن) على أثر خلافه مع زوجته الجديدة .

ويشهد مطلع عام ١٩٣٧ ، مرحلة فريدة ومتميزة ، في مسيرة "بيكاسو" الفنية والانسانية ، فقد اندلعت الحرب الأهلية الأسبانية وضربت قرية "جرنيكا" بقذائف النازي بالاتفاق مع الجنرال " فرانكو " مما دفع " بيكاسو " إلى تصوير هذه الجريمة البشعة في لوحته الضخمة والعظيمة " جرنيكا " .

عاد بيكاسو إلى باريس ، وتعرف إلى " دورا مار " صديقته الجديدة التي خففت من وطأة " جرنيكا " على نفسه .. وحلت سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٤١ - ١٩٤٤) فرفض " بيكاسو " مغادرة باريس بعد سقوطها في أيدي النازيـــة ، ولكنه انعزل إلى حد ما ، وقل نشاطه إلى حد كبير ، وإن لجأ إلـــى الكتابة مرة أخرى ، فكتب هذه المرة مسرحية من فصل واحد ، بعنـــوان (الرغبة مشدودة إلى ذيلها) ، كتبها في يناير ١٩٤١ وعرضت لأول مرة في مارس ١٩٤٤ ، داخل شقة أحد الأصدقاء وقام بأداء أدوارها الرئيسية إلى جانب صديقته " دورا مار " ، " سارتر ، وسيمـــون دي بوفوار ، وألبير كامي " .

لم ينس " بيكاسو " أهوال الحرب بعد أن سجلها في لوحته " جرنيكا " خاصة وأن الحرب العالمية الثانية ، قد جلبت أهوالا أعمق أثرا من أهوال الحرب الأهلية الأسبانية وخاصة بعد أن فقد صديقه الحميم الشاعر "ماكس جاكوب" الذي قتل في أحد معسكرات النازي ، وكانت أهم لوحات هذه الفترة المأساوية ، لوحة تمثل العذراء ، وهي تبكي على جثمان المسيح .

وتفرغ " بيكاسو " للحفر بعد ذلك فأنتج ١٧٩ قطعة في الفترة من أواخر عام ١٩٤٥ إلى منتصف عام ١٩٤٩ ، وبعد سنوات الحرب هذه تفرغ "بيكاسو" مرة أخرى ، ولكن للخوف فأنتج ألفي قطعة كانت أبرزها (الرجل والحمل التي أهداها إلى قرية فالوري)، حيث كان يقيم في أثناء فترة تفرغه.

وتزوج " بيكاسو " من " فرنسوازجيلو " التي أنجب منها ابنه الثاني "كلود" عام ١٩٤٧ ، وابنته الثانية " بالوما " عام ١٩٤٩ ، ومن هنا سر تزايد لوحات الأمومة في هذه الفترة من حياته ، وقد سجلت " فرنسوازجيلو" بعد انفصالها عن " بيكاسو " قصة زواجها منه (١٩٤٤ - ١٩٥٤) وصدر الكتاب في مطلع الستينات بعنوان (حياتي مع بيكاسو) .

وعلى العكس من كتاب " فرناند أوليفييه " (بيكاسو وصحبه) ، وكتاب "جون بيرجر" (نجاح وفشل بيكاسو) ، ركز هذا الكتاب على الجانب الشخصي مما دفع " بيكاسو " إلى إنكار أبوته لابنيها ، ومما دفعه أيضا إلى الارتباط " بجاكلين روك " التي عرف معها الحب لأول مرة وهو في الخامسة والسبعين ، ودام هذا الحب حتى رحل " بيكاسو " بعد أن خصص لها جزءا كبيرا من ثروته الضخمة .

وبعد أن بلغ التسعين من عمره ، وبدأ يحيا حياة هادئة تماما منعزلة إلى حد ما ، أعلن " بيكاسو " أنه لن يسقط إلا والفرشاة في يده ، وهذا ما عبر عنه " لوسيان كيلوج " في فيلمه السينمائي الذي عرض خلاله ٥٠٠ لوحة من أبرز أعمال " بيكاسو " عبر تاريخه الفني الطويل والحافل ، بعنوان (بيكاسو الحرب والسلام والحب) .

في هذا العام قال " بيكاسو " : (ظللت تسعين عاما أستعيد روح الطفولـــة ولم أستطع) . وفي هذا العام قال " بيكاسو " : لم يبتدع فن التصوير لتزيين الجدران ، بل هو أداة حرب إيجابية ضد الحرب وضد مآسي الحياة . وفي هـــذا العام كان " بيكاسو " هو الوحيد الذي استطـــاع من بين الفنانين الأحياء أن يشاهد لوحاته في قاعات متحف " اللوفر " .

وبالفعل رحل " بيكاسو " قبل أن يبلغ الثانية والتسعين بمائتي يوم لكن الفرشاة لم تسقط من يده إلا بعد رحيله بثوان معدودات .. عقب هذه الثوان المعدودات (أسدل الستار على القرن العشرين قبل نهايته بستة وعشرين عاما ومائتي وسبعة وستين يوما) ، فقد رحل رجل عظيم أثري العصر وسجل نبضاته ، وغير صورته هو الفنان العالمي " بابلو بيكاسو " .

هكذا قال الشاعر الفرنسي الشهير " رونيه شار " في مقدمته لكتالوج (معرض " بيكاسو " الأخير) الذي افتتح في مدينة أفينيون بجنوب فرنسا كواجهة مشرقة ومبشرة لمهرجانها السابع والعشرين للفنون ، الذي أقيم في صيف عام ١٩٧٣ ، والذي يقام في صيف كل عام .

أما المفكر الكبير " أندريه مالرو " ، فقد قال في كتابه الأخير (الأسى البللوري) : أن أعمال " بيكاسو " الأخيرة تعد تلخيصا لحياة طويلة وعريضة حافلـــة ومثيرة عبرت من الحزن الصامت ، إلى الكآبة المعتمة إلى الحنين المؤرق إلى الثورة الاجتماعية إلى السلام العالمي ، إلى العثور على الذات ، إلـــى البهجة بالحياة ، إلى التفاؤل والأمل ، حيث مر"بيكاسو" بمراحل شعورية وفكرية ولونية وأسلوبية متعددة ومتنوعة حتى عاد في مرحلتـــه الأخيرة إلى (وجه الإنسان) يرى فيه نفسه (رساما شابا) ويرى فيه الأطفال (براءة ومستقبلا) ، ويرى فيه المسيح (تضحية وخلاصا) ولكنها جميعا تلك

الوجوه النابضة التي لا تزال عيونها تتميز بذلك البريق الحاد العنيف ، وهي تتأمل وتتطلع مثل عينيه تماما ودائما نحو المجهول .

حقا ، ترك " بيكاسو " عالمنا المجهول ، إلى عالم آخر مجهول على الأقل بالنسبة لنا جميعا ! .



(جورج براك .. عازف الريشة .. والسكين)

(١٨٨٢ - ١٩٦٣)

G Braque

طائـــر يطيـــر

يهجر الأعالي كما لو كانت غلالات عديمة الجدوى

لم يخش الضوء أبداً ،

حبـــيـــس أجوائـــه ،

لم يسقط لـــه ظـــل ،

* * *

قشور الحصاد هشمتهـــا الشمـــس ،

كل الأوراق في الغابات تقول نعم ،

لا تعـــرف إلا أن تقـــول نـــعـــم ،

كـــل ســـؤال ، كـــل جـــواب ،

والندى يتدفق فـــي أعماق النعـــم ،

* * *

رجل رقيق العينين يصف سماء الحب
يــجــمــع. مــنــهــا الــروائــع
كمــا تجمــع الأوراق فــي الغابــات
كمــا تجمع الطيــور فــي أجنحتهــا
وكمــا يجمع الرجــال فــي الشمــس

* * * * *

ولد جورج براك بمدينة **أرجونتوي** الفرنسية في الثالث عشر من مايو عــام ١٨٨٢ لجد وأب لهما علاقة بالفن التشكيلي ، فالأول كان تاجراً لأدوات الرســم والأخير كان بائعاً للوحات الفنية .. فتح براك عينيه إذن على الألوان ، واختبر أنفه رائحة الزيت والجواش فالتحق بمدرسة الفنون الجميلة " **القسم الحر** " وهو بعد تلميذ بمدرسة الليسيه .. وكان براك يتمتع بحيوية ولياقة بدنية وصفاء ذهن نتيجة لممارسة رياضة السباحة والملاكمة والدراجات ، فضلا عــن حبه للرحلات وعشقه للموسيقى ، إلى جانب إجادته للعزف على الفلوت .. ولم تعقه فترة الخدمة العسكرية عام ١٩٠٢ عن متابعة كل هذه الهوايات التي تركزت في هواية واحدة سرعان ما تحولت إلى طريق ومستقبل وحياة خاصة ، بعد أن تخرج في أكاديمية هامبير للفنون عام ١٩٠٦ ، وعرض أولى لوحاته في منطقة أوتفير .. جــاءت هذه اللوحات الأولى استجابة مباشرة لتيار " **الحوشية** " الجارف الــذي كان " **ماتيس** " قد أطلقه منذ عام واحد .. ولكن براك لم ينجرف تماماً في هــذا التيار ، فبعد عشرين لوحة فقط أحس بأن " **الحوشية** " تضحي بالشكل في سبيل الألوان ، بينما يريد هو أن يوفق بينهما .. فبدأ

بتجربة اللون الواحد ودرجاته ، مستفيداً من تجارب " **سيزان** " الناجحة في مجال اللون بشكل عام .. أما في التكوين فقد استعان بفن " **الأرابيسك** " وإن أدخــل عليه بعض التعديلات أو التغييرات ، فقد حوّل الخطوط المستقيمة إلى زوايا ومثلثات ودوائر .. ورُفضت هذه اللوحات من صالون الخريف عام ١٩٠٨ ، فزاده ذلك الرفض اصراراً على مواصلة طريقه وتحقيق استقلاليته ، وفرض أسلوبه .. فبعد أن عاب الناقد التشكيلي " **فوكسيل** " على براك انغماســـه في الأشكال الهندسية وبخاصة المكعبات ، اكتشف براك ومعه **بيكاسو** عام ١٩٠٧ في حضرة الشاعر " **أبوللينير** " ما سمي "**بالتكعيبية**" التي سادت لفترة طويلة وجذبت إليها عباقرة الفن في ذلك الوقت.. هذه التكعيبية ذاتها هي التي دفعته إلى الاهتمام برسم " **الطبيعة الصامتة** " .. فظهرت الآلات الموسيقية وأبرزها الكمان والفلوت ، ثم لجأ إلى محاولة إيجاد هذه الآلات بطريقة بارزة حتى تكتسب حياة ملموسة فأدخل " **الكولاج** " أو القص واللصق مستخدماً ورق النوتة المّوسيقية والأوتار والخشــب، وتوسع بعض الشئ في استخدام الألوان فأضاف إلى جانب الأسود والرمادي والبيج والأزرق والأخضر والأصفر .. وأدخل الحروف الهجائية البـــارزة مكوناً أسماء شهيرة مثل **باخ وبال** ..

صحيح أن بيكاسو هو صاحب أول لوحة تكعيبية في تاريخ الفن الحديث وهي لوحة " فتيات أفينيون " المرسومة ببساطة وبلا أي ظلال ولكن الصحيح أيضاً أن جــورج براك يعد بحق رائد التكعيبية الذي وضع الأصــــول والأساليب والفلسفة وجعل منها إضافة في قسم التصوير الحديث.. ولا غرابة في ذلك فقد اشترك براك مع بيكاسو في معرض واحد في باريس عام ١٩٠٧ يحمل اسم " معرض الشابين " فعرضا لوحاتهما التكعيبية دون أي إشارة ، كذلك لم يشر النقاد إلى أي شئ جديد إلى أن تحدث هنري ماتيس

الفنان التشكيلي الشهير عن لوحات براك مشيراً إلى المكعبات والغرائب التكعيبية ... وتبعه الناقد لوي فوكسل فوضع المصطلح وروج له كثيراً حتى تصدى بيكاسو متحفظاً قائلاً " إننا لا نقصد التكعيب وإنما هدفنا هو التعبير عن دخيلة أنفسنا " وقال براك " التكعيبية أو أي أسلوب آخر هو مجرد وسيلة نلتمس بها إدخال قسم التصوير في نطاق إمكانياتنا ، ولم نكن نعلم أننا تكعيبيين حين استخدمنا هذه الطريقة " ..

أصيب براك أثناء الحرب العالمية الأولى في يوم عيد ميلاده الثالث والثلاثين، كما أصيب في أعقاب الحرب العالمية الثانية بمرض غريب ولكن فوزه " **ببيانلي فينسيا** " عام ١٩٤٨ أعاده إلى فنه المنتشر في معارض فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة حتى رحل في آخـــر أغسطس عام ١٩٦٣ عن واحد وثمانين عاماً حافلة بالانطلاق والعطاء الفني..

يقول براك " إنني أترك الفراغ المرئي إلى الفراغ الملموس " وهكذا فتح المجال أمام زملائه من التكعيبيين ليحققوا هدفهم الأخير وهو استخدام الأوراق والخامات كالرمل والزجاج والملابس ، فثبتوها في لوحاتهم لخلق الواقع الشاعري الجديد دون إيهام بالواقع الطبيعي .. وهكذا اتجهوا إلى الإبداع وليس الاختراع وأقلعوا عن تصوير المناظر الخلوية ليركزوا على الوحدة الإنسانية .



(جان آرب .. فنان الكتلة والفراغ)

(١٨٨٧ - ١٩٦٦)

در بلا ظلال
في أقواس بلا ابتسامات
ظلال ملتحية
تسجل همهمات الحركة
وأدق دقائق الرعب
أبحث تحت الرماد البارد
عن أصغر العصافير
التي لا تخفض أبدا أجنحتها ،
لأنها أبدا تقاوم الريح .

ولد جان (هانز) آرب بستراسبورج بالالزام عام ١٨٨٧ ، وعرف كمثال ولكنه مصور وحفار وشاعر ، وهو واحد من كبار المبدعين والمتميزين في عالم الفن المعاصر ..

هذا الابداع وذلك التميز تمتع بهما منذ طفولته ، فقد مارس محاولاته في الرسم وهو في سن مبكرة جدا ، ولا غرابة فقد تلقى دروسه الثانوية في باريس .. التحق رسميا بمدرسة الفنون الزخرفية وهو في السابعة عشرة ، ولكن سرعان ما أصيب بالملل من جراء نقل صورة العصافير في العش والزهور المتخفية .

وفي هذه السن أيضا زار آرب باريس واكتشف أشكال التعبير المتطورة في الفن الحديث .. وفي هذه السن لم تعد الدراسات الأكاديمية ترضيه وتشبعه وتفيده أو تضيف إلى موهبته شيئا ، وهكذا بقى في سويسرا لكي يرسم ويفكر ويشعر بحرية وكانت قصائده الأولى ..

تعرف آرب عام ١٩٠٩ إلى بول كلي الذي عرفه فيما بعد بكاندنسكي وماكس آرنست، وكانت بداية حياته الفنية والاجتماعية ، الأمر الذي هيأ له فرصة الاشتراك عام ١٩١٢ في المعرض الثاني بميونيخ ، أما في العام التالي فقد عرض آرب في برلين في أول صالون خريف يقام في العاصمة الألمانية .. وخلال تلك الفترة اتصل بماكس آرنست وقويت علاقته به مما أدى إلى تواجده طوال عام ١٩١٤ في باريس بصحبة أبوللنير وكرافان ودولونوي وبيكاسو وموديلياني الـــذي رسم بورتريه له ، فضلا عن الاختلاط بالوسط الفني والأدبي ..

عاد آرب إلى سويسرا تجنبا لأهوال الحرب خاصة وأنه يجمع بين الجنسيتين الفرنسية والألمانية وهكذا عكف على رسوماته ذات الطابع التكعيبي المتميز بالدقـــة والوضوح والقوة .. وإلى جانب الرسم طبق المذهب نفسه وبأسلوبه الخاص على السجاد والكولاج الذي عرضه عام ١٩١٥ بجاليري تانير بزيوريخ .. وفي زيوريخ وبفضل علاقته القديمة بماكس آرنست أقام معه فترة طويلة ابتداء من عام ١٩١٦ ، حيث ظهرت "الدادية" على يديه وتأثر بها آرنست تأثرا كبيرا .. وهذا ما دعاه إلى الاشتراك مع تزارا وجانكو وهوجوبال في تأسيس حركة " الدادية " .. وهكذا استعاد آرب نشاطـــه الذي كان قد بدأه عام ١٩١١ عندما أسس مع اثنين من المنفيين الألمان هما فالترهيلبيج وأوسكار لافي مجموعة " ديرموردرماند " .

وتعرف على الفنانة التشكيلية صوفي تاووبير وتزوجها فيما بعد وبالتحديد في عام ١٩٢٢ ..

ولقد كان تأثير آرب على الداديين قويا وواضحا ، وامتد هذا التأثير ليس من خلال اللوحات والتماثيل فحسب ولكن من خلال أغلفة دواوين الشعر كذلك ، وكذلك من خلال الكولاج التجريدي ..

وفي عام ١٩١٨ بدأ آرب يمارس ما سمي بالرسم ما بعد الشاعري والذي يشبه كثيرا لوحات كاندنسكي المائية التجريدية المبكرة ..

وفي عام ١٩٢٠ عاد آرب إلى كولونيا حيث اشترك من جديد مع مجموعة جديدة من الداديين الجدد وعلى رأسهم ماكس آرنست وبارجلد ..

وفي باريس حيث انتشرت السريالية انتشارا مذهلا عطل نمو المذاهب والأساليب الأخرى التي ولدت معها أو قبلها بقليل وأبرزها الدادية ،

لم يستطـــع آرب أن يغالب تيار السريالية الجارف بل أصبح علما من أعلامها بعد بيكاسو .. وقد أضاف آرب إلى سريالية بيكاسو المتدفقة ما أسماه " الرمزية الحسية " برسم أشكال غريبة ولكنها موحية معبرة وذات دلالة إنسانية غامرة.. وفي إطار السريالية أيضا أدخل آرب " الكولاج " أو "القص واللصق" مستخدما الورق المقوى والسلك سكرين والجواش بطريقة "السيريجرافي" المحدودة النسخ عند السحب على النسخة الأصلية التي تبلغ في المتوسط ٤٠سم طولا في ٣٠سم عرضا ..

وفي عام ١٩٢٥ كان آرب من أوائل العارضين في أول معرض سيريالي ، وفي العام نفسه نشر بالاشتراك مع ليستزكي أول دراسة نقدية فنية له بعنوان " الفن " ..

ولقد شارك بانتظام منذ عام ١٩٢٦ وبعد أن تقررت إقامته بشكل نهائي في منطقة المودون في أنشطة الحركة السريالية الفنية والفكرية إلى جانب عضويته الدائمة بمجموعـــة الفن التجريدي " دائرة ومربع " وكذلك بمجموعة " تجريد – إبداع " ..

وفي عام ١٩٣٠ ، ١٩٣١ عرض لأول مرة مجموعة الرسومات الممزقة إلى قطع صغيرة والمعاد تكوينها بأشكال مختلفة .. ومنذ هذا التاريخ وهو ينوع في تناولاته ويجدد في رؤاه ويحاول محاولات عديدة ومتباينة ليخرج بنتائج مبتكرة ، بعضها ينجح والبعض الآخر يخفق في الوصول إلى عيون المشاهدين وعقولهم ..

وفي هذا التوقيت بدأ يمارس النحت ، أولا على الحجر ثم على المعدن .

وخلال الحرب العالمية الثانية هرع آرب إلى جراسي حيث عمل مع سونيا دولونوي وألبرتو مانيللي ..

بعدها أقام آرب فترة في أمريكا (١٩٤٩ - ١٩٥٠) ثم في اليونان (١٩٥٢-١٩٥٤) ..

عرض آرب في معارض باريس ولندن وليدز ونيويورك .. ولكنه لم ينل شهرته العالمية إلا فيما بعد الحرب ، فقد حصل على جائزة النحت الكبرى ببينالي فينيسيا عام ١٩٥٤ ، وظل بقية سنوات عمره موزعا بين مرسمه في مودون ومرسمه الآخر في لوكارنو مركزا على النحت وملتفتا أحيانا إلى الرسم والحفر وكتابة الشعر ..

وتفرغ آرب فترة لكتابة " مذكراته " الشخصية والفنية فقد عرف آرب بحبه للكتابة إلى جانب عشقه للفن ولكنها الكتابة التي تدور في فلك الفن دائما، إلى درجة أنه كان يقترب من النقد الفني في وقت لم يدع فيه عمالقة الفن الذيـــن ظهروا معا وفي ظروف متشابهة الفرصة الكاملة لظهور نقاد فنيين على مستواهم ، قبل ظهوره " أندريه بريتون " أبو السيريالية (من وجهة نظر فكرية) و " بول إيلوار " صديق الفنانين (من وجهة نظر إنسانية) و"أندريه مالرو" راعي الفن (من وجهة نظر حضارية) ..

ولهذا صرح آرب بقوله : " لو لم يعترف بي منذ البداية كفنان تشكيلي لأصبحت الآن ناقدا تشكيليا " ..

ومع هذا فقد كان آرب واحدا من مؤسسي الفن الحديث ولا يمكن إغفال دوره الرئيسي والأساسي في هذا المجال .. كما لا يمكن إنكار مساهماته الفعالة في الحركتين الدادية والسيريالية ومساهماته الأكثر تأثيرا في الحركة التجريدية المناهضة للحركة الحسية ..

وشهرة آرب لا تقل أيضا في التصوير والرسم والحفر ، وفيها جميعا كان أسلوبه واحدا بسيطا ، فالأشكال متناغمة دائما والمساحات محسوبة بدقة والحساسية موزعة على الكتلة كما هي موزعة على الفراغ والشاعرية تكسو كل الأسطح كما تتخلل كل النتوءات بحريـــة وحيوية في نسيج يجمع بين الحلم والواقع ويمزج بين الحقيقة والخيال .

وفي عام ١٩٦٦ وفي مدينة بازيل شفايز توفى جان (فرانز) آرب عن تسع وسبعين عاما عامرة بالفكر والفن .



(مارك شاجال .. فنان الواقع والخيال)

(١٨٨٧ - ١٩٨٥)

في صباح جميل رأيت مرة أخـــرى
أنني لن أنسى مـــن لن أنســـاه أبـــداً
ونســـــاء عابــــرات عيونـــهـــن
سببـــبـــت لــــي خجـــلاً شـــريـــفـــاً
فـــقـــد تـــدثـــرن بضحكـــاتهـــن .

في صباح جميل رأيت أحبائي بغير هموم
الـــرجـــال لا يـــحـــمـــلـــون أثـــقـــالاً
واحـــــد مـــنـــهـــم مـــــر
خيـــالـــه تـــحـــول إلـــى ابتـــســـامـــة
تضـــيـــع فـــــي الـــجـــدول
رأيـــت السمـــاء متسعـــــة للـــغـــايـــة
ونظـــــرة الرجـــــال الصافيـــــة

المجـــــردة مـــــن كـــــل شئ
شاطئ ممتد حيث لا أحد يقترب

في صباح جميــل بــدأ حزينـــاً
أسوداً تحت الأشجـــار الخضـــر
لكنه غطس فجـــأة فـــي الفجـــر
وولـــج بغـــتـــة فـــي القـــلـــب

* * * * *

من أعلام الفن الحديث الذين حرروا الرؤية الفنية منذ مطلع هذا القرن وعاصروا أحداثه المصور الروسي الأصل مارك شاجال أحد ضلعي المثلث العالمي الشهير الذي يكون قاعدته الأسباني بابلو بيكاسو ويكون ضلعه الثاني الفرنسي جورج براك ..

وقد أقيم بالقصر الكبير بباريس معرض شامل يضم ٥٠٠ لوحه تمثل مختلف المراحل الفنية والفكرية التي مارسها شاجال .

وللفن مع شاجال قصة حب بدأت وهو بعد تلميذ في المرحلة الأولى بإحدى مدارس مدينته الصغيرة إلى أن التحق بمدرسة ليون باكست بسان بترسبورج وفيها ظل يمارس حبه للرسم إلى جانب ممارسته للرسم نفسه وكان غالبا ما ينحصر في تخطيطات سريعة لرقصات الباليه الروسي الشهير.. كان يرسم بانطباعية مطلقة حاول فيما بعد أن يوظفها في خدمة الواقع حتى تكون لديـــه ما أسماه " بالواقعية الانطباعية " .. وذلك على الرغم من كراهيته الشديدة " لمذهبة " الفن أو إدراجه تحت اتجاه بعينه .. وربما كان هذا هو سر عدم انتمائه إلى الحركة السريالية وإن اعتبره مؤرخو

الفن واحدا من أبرز الأوائل خلال إقامته بباريس من ١٩١٠ إلى ١٩١٣ . يقول شاجال : لدت مرة ثانية في باريس .. وفيها اكتشفت لأول مرة النور والشمس والبهجة والألوان .. اكتشفت الحرية .

وفي عام ١٩١٤ توجه ابن السابعة والعشرين إلى برلين لإقامة أول معرض له .. وما أن وصل إلى العاصمة الألمانية حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى فتوجه مضطرا إلـــى مدينته الصغيرة بروسيا حيث تزوج من خطيبته بيللا .. وبعد ثلاث سنوات قامت الثورة الروسية فشغل منصب مدير الفنون الجميلة وقاد ثورة عارمة استطاع أن يحرك بها الفن الروسي الراكد والأكاديمية التي ظل يعاني منها منذ أن كان طالبا يتلقى دروس الفن كما يتلقى دروس الحساب .. إلا أن الثورة الفنية التي انضم إليها الكثيرون من الفنانين والموسيقيين والكتاب ورجال المسرح والشعراء سرعان ما خفت حدتها وفترت نبرتها بعد أن عادت الأكاديمية تسيطر على الحياة الفنية والأدبية مما اضطر شاجال إلى ترك منصبه والاتجاه إلى موسكو .

ولم تمض خمس سنوات على هذا التحول الاضطراري حتى قرر الهجـــرة إلى فرنسا والاستقرار فيها .. وفي باريس احتفلت به الأوساط الفنية أكثر مما حفلت به روسيا في عبديها القيصري والسوفيتي على السواء، وإن كانت تعتز به اليوم كواحد من ألمع أبنائها الذين حققوا نجاحا باهرا وشهرة واسعة في مجال الفن العالمي .

وفن شاجال عرف في باريس بالنزعة الروحية الأمر الذي جعل السيرياليين يتشككون في تأييده لحركتهم الوليدة ، إلى أن اعترف رائد السيريالية الأول وشاعرها الرسمي أندريه بريتون بصدق شاجال وحسن نواياه على الرغم من أنه ليس سيرياليا بالمعنى المحدد ..

واندلعت نيران الحرب العالمية الثانية فهجر شاجال أوروبا بأكملها إلى الولايات المتحدة وعاش فيها حتى انتهت الحرب فعاد مرة أخيرة إلى فرنسا ولكن دون أن يقيم بباريس .. فقد لزم الصمت والهدوء وآثر الحياة بإحدى قرى الريف الفرنسي الساحر عله يخفف من صدمتين مروعتين ارتطمت بهما حياته نتيجة للحرب اللاإنسانية :

تدمير قوات النازي لمدينته الصغيرة فيتبسك وموت زوجته ورفيقة عمره بيللا ..

وخلال رحلة عمره الشاقة أقام ثلاثة معارض كبيرة وشاملة أولها بباريس عام " ١٩٤٧ " وثانيها بتورينو عام " ١٩٥٣ " وآخرها بالقصر الكبير بباريس حيث عرضت ٥٠٠ لوحة من الزيت والجواش والفلوماستر والسيراميك .. وكان قد أقام من قبل معرضين كبيرين أولهما في مدينة بال بسويسرا عام " ١٩٣٣ " وثانيهما بمدينة نيويورك بالولايات المتحدة عام " ١٩٤٦ " .. وفي عام " ١٩٤٨ " حصل شاجال على جائزة الحفر ببينالي فينسيا الدولي الرابع والعشرين .. وتزوج في عام ١٩٥٢ من فالنتين برودسكي .. وقد صرح في الأيام الأخيرة قائلا :

" لست أخاف الموت ولكني أريد فقط أن أفعل ما أردته ولم أفعله بعد " .

لقد كانت ألوان شاجال قبل أن يستقر في باريس غارقة في القتامة والظلام إلى أن تخلى عنها تماما ليعطي الفرصة للنور يغزو لوحاته بحيث ملأتها أشعة الشمس فسمحت للبهجة والصفاء ممارسة حقهما في الحياة .. تخلى عن القتامة ولكنه لم يتخل عن بيئته وتصوير عمارتها ومبانيها المنتشرة .

وقد قام شاجال بزيارات فنية وروحية لفلسطين وسوريا ومصر أطلق بعدها دعوته الحارة للإخاء والحرية .

أما الحب فقد عبر عنه شاجال بأشخاصه الذين " يطيرون من الفرح " حول قبلة خاطفة في أجواء اللوحة وكأنهم داخل كبسولة فضاء يعيشون حالة انعدام الوزن ، تلك الحالة التي تعتبر من أشد حالات الانفعال سعادة ونشوة.. ولذلك تميزت خطوطه بالتركيز والتجسيد من أجل التأكيد على فكرة ورؤية وحالة انفعالية .. فالزهرة باقة بأكملها وأصابع اليد الواحدة أكثر من خمسة.. ولكنه لم يكن سيرياليا أو تجريديا أو حتى تكعيبيا على الرغم من أن شخوصه وحيواناته ونباتاته وأشيائه غالبا ما تتخذ أشكالا مثلثة ومربعة وأوضاعا مقلوبة وغريبة .. فنراه يلغي وجود البقرة من على الأرض ليضعها فوق السطح ونراه ينزع الكمان من يد الإنسان ليضعه بين يدي الحصان .. وهكذا..

وهكذا أصبح جديرا بشاجال أن تطلق عليه هذه العبارة " شاعر الرسم " وذلك لعميق الشبه بين لوحاته وقصائد كبار الشعراء من السيرياليين بصفة خاصة .. بريتون وأيلولا وأبوللبنير .. هذا التشابه العميق ربما كان مرده إلى تلقائية" شاجال " في الرسم دون التقيد دائما بالفكر .. فالحب الذي يكنه للعالم المحيط به والعالم الذي لا يزال يفتك بالخيال هو الذي جعله يصور كل شئ مقلوبا متجها إما إلى الأرض وإما إلى السماء .

لقد أدخل شاجال البعد الرابع في التصوير وذلك بخلق أشكال لا تنتمي إلـــى الأشياء في انعزالها ولكنها تسبح في مساحات غير محددة .. وكان يريد بذلك العثور على الواقع بعيدا عن العدم .. ولكنه كان يهتم دائما بالواقع الفيزيقي ، وهكذا استحدث ما يمكن تسميته بالواقعية الشاعرية وإن لم يقف

عندها كما لم يقف عند الانطباعية أو التكعيبية أو السيريالية لأنه كان يريد دائما أن ينطلق إلى آفاق رحبة وجديدة .. وفي هذا يقول :

" أريد فنا نابعا من الأرض وليس من الرأس وحده "

وكما أدخل البعد الرابع ابتدع أيضا قواعد فنية جديدة فيما يختص بالمسافات والمساحات والخطوط والألوان وكذلك الموضوعات ..

أما المسافات فهي محددة بخلفيات وأرضيات تخضع لوحدة بصرية.وإن كانت تميل للنظرة العقلية .. فإلى جانب المادة المرئية تهئ المسافات أمام الخيـــال فرصة الخوض في الأحلام واستدعاء الذكريات والرغبات لأن وحدة المكان قد حطمت وحدة الزمان فاجتمع الحاضر والماضي والمستقبل في زمن واحد ..

وأما المساحات فواضحة لأنها هي التي تحكم بناء اللوحة وتضم جزئياتهـــا سواء كانت مليئة أو فارغة .. وأما الخطوط فبارزة لأنها هي التي تحدد الفواصل بين المسافات والمساحات حتى لا يضيع ذلك الفارق الدقيق بينهما .. وأما الألوان فصريحة على الرغم من أنها ليست شبيهة تماماً بالواقع المادي ولا هي شبيهة للواقع الفني لأنها قبل كل شئ تعبيرا رمزيا للواقع الخيالي ، كما يحب شاجال أن يسميه ، هذا الواقع الخيالي نفسه هو الذي يشكل الموضوعات التي صورها شاجال في لوحاته ، والتي يدور معظمها حول ذكريات الطفولـــه .. في القرية المهجورة التي يرى فيها الفنان جنته المفقوده .

إن أهم ما يميز فن شاجال هو ذلك الذي يسمى " بالمذهل " ليس فقط فيما يتناوله من موضوعات ولكن في طريقة التناول أو أسلوب التناول ..

لأن المذهل عنده كامن وراء كل ما هو ظاهر .. ولأن المذهل هو المعادل الموضوعي للحلم أو هو الحلم نفسه .

ومع هذا كان فن شاجال شعبيا قدم للعين المبصرة شيئا جديدا يختلف عـــن الواقع والطبيعة ، وإن جمع بين الواقع والخيال في رؤية شعرية .. كمـــا كان فنه عالميا لأنه قدم للنفس البشرية شيئا عظيما يجمع بين الأسطـــورة والدين وروح العصر يقارب بين الشرق والغرب في رؤية شاعـــرية .. فقد كان يتمتع بالقدرة على الحلم في وضح النهار بعد أن يصبـــغ على أحلامه اليقظة تلـــك الرؤيا الواقعية التي تخلق من الحلم والواقع معا ذلك الذي نقول عنه شعرا ..

ولقد تحدد أسلوب شاجال نهائيا في لوحته المسماه " أنا والقرية " التي رسمها عـــام " ١٩١١ " وتعتبر أروع لوحاته على الإطلاق .. تتوسط اللوحه دائرة مركزية تضم جزءا من وجه الفنان وجزءا آخر من فك بقرة .. وكذلك قاعدة ربوة من ربي القرية يظلها السحاب ..

أما هذه الدائرة فقد ارتكزت على قمة غصن مثلث ينحرف نحو فم البقرة .. وحول هذه الدائرة الأساسية بما تستحوذ عليه في داخلها تتناثر تكوينات كثيرة ومختلفة .. امرأة تحلب لبن بقرة صغيرة وقد ظهرت الاثنتان معـــا .. المرأة والبقرة .. داخل فك البقرة الكبيرة .. وفلاح يلتقي على الربوة بامرأة .

إن شاجال يحلم بقريته بأبقارها ومواطنيها .. بحيث يكفي أن يذكره فك بالبقرة كلها مصادقا لرؤية سيكولوجية وليست فيزيقية .

أما الألوان فقد تحددت هي الأخرى وإتحدت بحيث جاءت جميعها مضيئة وزاهية .. فاخضرار الوجه وزرقة الفك يحددان درجات الوردي والأحمر في أعماق اللوحة التي حققت إنسجاما كاملا بين الألوان وأن تميز كل لون على حدة بالانسجام والوضوح .

وترجع أهمية هذه اللوحة ليس فقط إلى تحقيق النضج الكامل في الأسلوب ولكن في الرؤية أيضا .. فتصوير عازف كمان فوق سطح منزل شئ لا يحدث دائما ولكن من الممكن أن يحدث .. أما تصوير امرأة تحلب بقرة داخل فك بقرة أخرى فشئ لا يحدث على الإطلاق .. وهذا ما يؤكد الفصل الكامل بين الواقع والخيال في الوقت الذي يجمع فيه بينهما ..

لقد حطم شاجال بعدي المكان والزمان وإن كان قد حقق الجانب السيكولوجي الذي أهملته التكعيبية بعد إن اكتفت بالتركيز على الواقع الفيزيقي وهذا التقابل بين ما هو فيزيقي وما هو روحي أو الواقع اللاواقع هو نفسه الذي أصبح فيما بعد النموذج الأمثل للسيريالية .

إن الأشكال التي تبدو طفولية لأول وهلة مثلما تبدو أشعار لا فونتين ليست في الحقيقة إلا انغماسا حادا في اللاشعور وطرقا عنيفا على أبواب المجهول .. تماما كما أراد آلان فورنييه أن يبين ذلك من خلال روايته الوحيدة " مون الكبير " .

ولعل هذه العبارة التي تقول :

" إن بيكاسو هو انتصار الذكاء البشري أما شاجال فيمثل عظمة القلب الإنساني " قد اتضحت الآن وقد تتضح أكثر عندما نعلم أن شاجال قد حمل بعد الحرب العالمية الثانية الام العالم أجمع على فرشاته باحثا عن معنى لهذه الآلام .

ولعل حصاد رحلة شاجال الشاقة التي انتهت عام ١٩٨٥ هي شاجال نفسه .. ذلك أن حياته هي لوحاته .. تلك اللوحات التي ستبقى في تاريخ الفن شاهدا على هذا العصر بعد أن تحققت من خلالها نظرية " الشعر في التصوير " بمعنى أن الشعر هو الطريق الوحيد إلى الفن التشكيلي بصفة عامة والتصوير بوجه خاص .

وأخيرا نسأل .. ماذا يبقى من شاجال غير فنه ؟

وتجئ الإجابة قاطعة : شاجال نفسه ؟





(جيورجيو دي كيريكو .. فارس الدادية والسيريالية)

(١٨٨٨ - ١٩٧٨)

G. de Chirico

جـــدار يشـــي بـجـــدار آخـــر
والظل يحميني مــن ظلــي المرتجـف
يـــا بـــرج حبـي حـــول حبـي
كل الجدران تتعاقب بيضاء حول صمتي

*　*　*

أنـــت عمـــا كـنـت تـدافـعـيـن ؟
أيـتـهـا الـسـحـب الجـامـدة النقيـة !
كنت تأويني وأنت مرتعدة .. والضوء ساطع
ونجـوم النهـار بيـن الأوراق الخضـــر

*　*　*

ذكرى من كانوا يتحدثون دون أن يعلموا
سـادة ضـعفـي ، وأنـا مثـلـهـم
بعيون الحب ، وأيد غاية في الإخـلاص
لإخـلاء عـالـم أنـا عنـه غـائـب

* * * * *

جيورجيو دي كيريكو ولد بمدينة جريس الإيطالية عام ١٨٨٨ لأب إيطالي يعمل مهندسا للسكك الحديدية .. طرق عالم الفنون التشكيلية من أوسع أبوابه ، فقد التحق بأكاديمية الفنون بأثينا ثم بميونيخ وتأثر بيوكلين.. تعلم الفنون الكلاسيكية والحديثة ثم مارس التصوير دارسا وهاويا ، مارا بكل المذاهب والمدارس والاتجاهات والأساليب . أقام أول معرض له في روما، بعدها هاجر إلى باريس ليبدأ حياته الفنية العملية من عام ١٩١١ إلى عام ١٩١٥ مناصرا للسيريالية متزعما حركتها في الجناح الإيطالي بعد عودته إلى وطنه .. وقد عبر عن هذا الانتماء هو ومجموعة الفنانين الإيطاليين ومنهم كارلوكارا وموراندي في بيئاتهم السيريالية التي بعثوا بها إلى " بريتون " عام ١٩١٧ .

وفي باريس تعرف كيزيكو على بيكاسو وعدد من الفنانين الذين أجمعوا على أنه أكثر الفنانين تطورا في عصره .. وفي باريس أيضا عثر كيريكو على أسلوبه الخاص الذي اتخذ من الأحلام مادة ورؤية لفنه الجديد المبتكر .

لذلك يعد كيريكو هو الواضع الحقيقي لأسس المذهب السيريالي وواحدا من رواد السيريالية الأوائل وأكثرهم تأثيرا على سلفادور ودالى نفسه .. ولعل البورتريه الذي رسمه لنفسه عام ١٩٠٨ ، لعله كان الطلقـة الأولى

في سباق السيريالية التي نضجت وانتشرت على يدي بيكاســو بعد ذلك بعشر سنوات كاملة .. ومن هنا أصبح كيريكو من أشهر السيرياليين .

دعى كيريكو لعرض أعماله السيريالية في باريس عام ١٩٠٢ ولكنه عاد في عام ١٩٣٠ إلى تتبع خطى الأقدمين أو ما أسماهم "المعلمين القدامي".

بعد أن قرر هجرة " الفن الحديث " الذي يسير في طريق مسدود وبرؤية ضبابية ومجهولة ، من وجهة نظره ، عنــى بالآثار الرومانية وشغل بتصوير الصحراء الشاسعة والقلاع الحصينة والأبراج العالية واقترب من "فن الديكور التصويــري" " وانخرط في النحت وتصميم الحلى .. ولهذا اعتبر كيريكو مرتدا عن الزمن المعاصر خارجا على روح العصر ..

وقد علل النقاد موقف كيريكو المرتد الغريب والمفاجئ بعدم النجاح في الوصول إلى قمة عالية من قمم الفن الحديث عامة والسيريالية على وجه الخصوص .. وفسر هؤلاء النقاد لجوء كيريكو إلى الصحراء بدافع نفسي للهروب من المدينة والمدنية . كما فسروا هروبه إلى القلاع كوسيلة نفسية للاحتماء داخل تحصيناتها من مطاردة الفن الحديث ومغرياتــه ، أما صعوده إلى قمم الأبراج .. فتعويض نفسي عن عدم تمكنه من الصعود إلى قمم الفن المجهول كما يحب أن يسميه ويصفه .. كان كيريكو يهتم بالبناء ، سواء بناء اللوحة أو البناء داخل اللوحة ، وكان يضفي على المكان جوا من الحزن والألم يكشف عن تشاؤمه ويدعو إلى التوتر والقلق .

كان كيريكو قد تمكن خلال الفترة من عام ١٩٠٨ إلى عام ١٩١٧ من تقديم بعض الصور الفريدة في الفن الحديث .. ففي الصورة الكبرى والصور الأخرى التي تمثل البلاد الإيطالية المهجورة ، يحس المتلقي أن كل شئ

يحملق نحوه ، التماثيل والمداخن التي تتميز باللون الأخضر والشخوص الغريبة .

في هذه الفترة تمكن أيضا من توحيد نماذج البسكويت وورق اللعب في شكل معماري مستخدما البيوت المتحركة والأسرة والمقاعد وقد سقط عليها ضوء النهار الساطع ..

أما في عام ١٩٢٦ فقد اتجه بصوره اتجاها زخرفيا ربط بين النزعتين الدادية والسيرياليـــة ، فوجه الأنظار إلى غموض العالم المحيط بنا وبعده عن الحقيقة والمألوف .

وقد جاء في قاموس الفنانين أن كيركو عاش ممزقا في صراع بين المذاهب الفكرية المتنوعة وبين التجارب التكنيكية الخالية من الفكر ..

أما هو فقد وصف نفسه بأنه " حالة فريدة " فلا هو روسو ولا هو السيريالي الأول وإنما هو المصور الميتافيزيقي كما أحب أن يطلق على نفسه .

وقد أصدر عام ١٩٢٩ كتابا مثيرا يتميز بالأسلوب التهكمي الساخر يحلل فيه مغامراته ، الفنية والذهنية ..

قال عنه جيوم أبوللينير وهو يكتشف لوحاته " هذا هو الفنان الأكثر حساسية في هذا العصر " ..

أما فكرة التصوير الميتافيزيقي فقد عبر عنها في لوحته " لوحة داخل اللوحة " التي رسمها عام ١٩١٧ ، وتبعها بلوحة أخرى أسماها " الميتافيزيقا الكبرى " .

ومن أشهر لوحاته " هيكتور وأندروماك " و " الابن العاق " و" غموض وأحزان شارع " و" الجلادون " ..

وقد قام كيريكو بتصميم ديكورات لفرق الباليه السويدية وفرقة دياجيليف الشهيرة حوالي عام ١٩٢٩ ..

شارك كيريكو في العديد من المعارض السنوية " أنوويل " وتلك التي تقام كل عامين " بينال " وكل ثلاثة أعوام " ترينال " وكل أربعة أعوام "كوادرينال" .

وعن هذه المعارض يقول كيريكو : " إذا قورنت معارضي التي أقمتها منذ عام ١٩١٨ وحتى الآن فإن الملاحظ دائما هو التقدم الواضح والمتجه باستمرار نحو الأستاذية والتفرد .. " .

أما عن حياته والأحداث التي أثرت فيها وفي فنه فيقول :

" كانت رحلات صيد السمك متعة كبيرة لي ، ومن المؤكد أن كل هذه المناظـــر من الجمال التي شاهدتها في اليونان وأنا صبي ، والتي كانت أجمل ما رأيت في حياتي كلها ، قد تركت في نفسي أثرا عميقا وظلت منبطعة بقوة في ذهني وأفكاري .. لقد ألهمت اليونان كثيرا من الفنانين في جميع الأزمنة ولكن هناك أشياء جميلة إلى حد لا يمكن معه للمرء إلا أن يتخيلهـــا فحسب .. إن هناك جانبا كبيرا من الصدق فيما قاله نيقولاس نيميس رسام القرن التاسع عشر اليوناني (لست أستطيع أن أرسم اليونان جميلة كم أتخيلها) ..

ويقول كيريكو : " رأيت المعرض الأول الذي تأثرت به إلى أقصى حد وظللت مأخوذا به بعمق .. ومن بين اللوحات التي أثرت في تأثيرا خاصا ،

لوحة تمثل قصة من الحرب اليونانية التركية ، فبالقرب مـــن منزل قديم فقير المظهر كانت هناك فصيلة من المشاة ، مع بعض الضباط على ظهور الخيل تبدو كما لو كانت في لحظة انتظار الهجوم ، وعلى مرمى البصر كانت تبدو المعركة .. وكان هناك صف طويل من جنود المشاة ، بعضهم يقف على ركبة واحدة على الأرض والبعض راقد تماما، وهم يطلقون النار،وعلى اليمين ترى فصيلة من الفرسان تعدو في طريق واسع مترب ، وفي المقدمة يرى جسد جندي قتيل يرقد في تراب الطريق .. والرسام صاحب هذه اللوحة اسمه (رويلز) وقد كان أستاذي في مدرســة البوليتكنيك.. كان متخصصا في الموضوعات العسكرية ، كـــان موهوبا ، ولو كان قد عاش في باريس أو روما لحقق شهرة واسعة .. أما الفنان الآخر الذي أثر في كثيرا فكان يدعى (راليز) وكانت موضوعاته مشاهد شرقية زاهية الألوان ومليئة بالحيوية ، وكانت مقدراته على التصميم دقيقة جداً .

رويلز ، راليز ، رفاييل ، روبنز ، كوكتو ، بربتون ، بوكلان ، رينوار، دولاكورا ، بيكاسو ، دالي ، دوران ، أبوللينير .. أسماء لها معنى في حياة وأعمال كيريكو ، منهم من تأثر بهم ومنهم من تأثروا به ، ومنهم من أعجبوا به وبفنه ومنهم من أعجب بهم وبفنهم ..

إلى هؤلاء تضاف أسماء ثلاثة تبدأ ببول وهم بول فاليري وبول كلوديل وبول أيلوار ..

أما كيريكو فقد كان يرى أنه رغم اقترابه من كل منهم واقتراب كل منهم منه ، إلا أنه القرب الذي يشبه بعد روما عن بكين ..

وعلى الرغم من كل ما قيل عن فن كيريكو تشكيكا فيه وتقليلا من شأنه إلا أنه عرض كل أعماله الكلاسيكية في روما ولندن وشيكاغو ونيويورك وباريس فلاقت نجاحا كبيرا ، وضع النقاد أنفسهم في حيرة شديدة من أمر كيريكو وأمر الفن وأمر جمهور الفن جميعا ..

ورحل كيريكو عن عالمنا عام ١٩٧٨ .. وبعد رحيله ظلت زوجته ليزا الروسية الأصل محافظة على لوحاته وثرواته وعادت إلى بيتها العتيق في روما لتعيش حياة لا تعرف الهدوء ولا الاستمتاع بالثروة الطائلة التي تضم اللوحات والتماثيل والحلى التي لم يكن كيريكو يعرضها أو يبيعها مما رفع قيمتها المادية والفنية معا .. ولكن ليزا استطاعت أن تؤكد هذا القول المأثور: " ليس معنى أن يموت الفنان أن يموت فنه ! " .





(ماكس إرنست .. فنان نصفه عصفور)

(١٨٩٣ - ١٩٨٣)

max ernst

في عمر الحياة
كل شئ ملقى في كل مكان
كل شئ كان يبدو مبعثراً
زجاجة من الشراب المنعش
وباقة من البنفسج
منها يوجد كل شئ من كل نوع
من الحصى غير الجارحة ،
بحيرة مليئة بالحقائق
والجبهة الملتصقة بالجدار تتابع السحب
ليس في هذه اللحظة أن مات كل أمل
منذ زمن بعيد ، بعيد
والعيون المنطفأة بالنهار الساطع
تلمع في المساء .

قال عن نفسه : " التصوير بالنسبة لي ليس زخرفة أو تعبيرا تشكيليا عن الواقع المحسوس ، لكنه - في كل لحظة - إبداع واكتشاف وإحياء .. ومع هذا فقد أردت - ببساطة - أن ألهو .. " .

وقال عنه الشاعر " هنري ميشو " : " الصدفة هي قاموس آرنست التشكيلي فيما عدا العصفور والغابة .. فهما ماثلان - دائما - في كل أعماله .. لقد كشف لنا آرنست أوراق اللعبة السيريالية خاصة ، والتشكيلية بوجه عام .. ".

فمن هو آرنست هذا الذي كشف أوراق اللعبة السيريالية ؟

إنه الفنان التشكيلي " ماكس آرنست " المولود بمدينة " براهل الألمانية " في الثاني من إبريل من عام ١٨٩١ .. أي بعد مولد العظيم " بيكاسو " بحوالي عشر سنوات .

كان والده هاويا للرسم .. بينما كان عمله الأساسي مديرا لملجأ الصمّ والبكم أما إخوته فكانوا سبعة من بينهم خمس بنات .. أعدم النازي إحداهن وتدعى " لويس " .

في عام ١٩٠٩ التحق " ماكس " بجامعة " بون " لدراسة الفلسفة وعلم النفس وكان قبلها قد قرأ للمشاهير : " جول فرن " و " هوفمان " و " لويس كارول " و " فرويد " ..

بعد التحاقه بالجامعة انضم لجماعة تطلق على نفسها " الفارس الأزرق " للتصوير .. وكان يقودها " كاندنسكي " ويتردد عليها الشاعر " أبوللينير " وفي عام ١٩١٣ تعرف إلى " هانز آرب " الذي دعاه لقراءة أشعار " رامبو " وتشجيعا له عرض لوحاته جنبا إلى جنب لوحـات " فان جوخ " و "سيزان" و" بيكاسو " في معرض " كولوني " بألمانيا .

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى – في عام ١٩١٨ – جند "ماكس" بالقوات الانتحارية الألمانية .. وفي العام نفسه تزوج من إحدى بنات وطنه وتدعى " لوشتراوس " .. بعدها بعامين أتيحت له الفرصة لعرض لوحاته الدادية من الكولاج لأول مرة .. وفي العام نفسه – أيضا – نقـل معروضاته إلى " باريس " بدعوة من " بريتون " الذي بهر بأعماله واقتنى بعضها وأقنعه بالحياة في العاصمة الفرنسية .

في أغسطس من عام ١٩٢٢ .. دخل " ماكس " إلى مدينة الفنون والأضواء بجواز سفر الشاعر الفرنسي " بول إيلوار " .. ولم يلبث كثيرا حتى اشترك في معرض " الطليعيين الأوربيين " .. لكنه ظل يعاني شظف العيش في السنوات الأولى لاغترابه في فرنسا .. إلى أن ظهر " مانيفستو السيريالية " في عام ١٩٢٤ وعثر فيه على ضالته المنشودة .. وبدأ يضع يده على أفكاره ورؤاه .. وساعتها – فقط – أدرك السر وراء اهتمام " بريتون " به وبأعماله . وحصل على الجنسية الفرنسية عام ١٩٥٨ ولا ندري هل احتفظ بجنسيته الألمانية أم تنازل عنها ، حتى رحل في عام ١٩٧٦ ؟! .

تميزت أعمال " ماكس آرنست " بالبساطة والتكنيك .. وهاتان السمتان دفعتاه إلى اكتشافات رائعة مـن خلال الخطوط السريعة التي كانت تجرى بها أصابعه بالقلم قبل الفرشاه ..

كشف عن ذلك العالم البعيد والمعاصر في الوقت ذاته .. الواقعي والخيالي معا .. وأصبح الشئ عنده هو الأساس .. لكنه الشئ المحاط بالطبيعة .

من هنا .. ظهرت رسوماته المسماه " تاريخ طبيعي " والتي انشغل بها عالم الفن التشكيلـي على مدى عام كامل : عام ١٩٢٦ .. ومن أشهر

لوحات هذه المرحلة : أسبوع الصداقة ، وهما لوحتان .. الأولى تمثل عينا مفتوحة مكررة على الجانبين .. والثانية يدين متصافحتين مكررتين على جانب واحد.. واللوحتان مرسومتان بالقلـم الرصاص الذي يشكل درجات لونيّة تبدأ بالرمادي وتنتهي بالأسود الفاحم .

وقد أوحت رسومات " التاريخ الطبيعي " بما يسمى باللامعقول أو العبث في أعمال " ماكس " قبل أن يعرف الأدب هذه المرحلة .. بل إن هذه الرسومات ذاتها تحولت – بعد ذلك – إلى لوحات تحمل مكونات الطبيعة وما وراء الطبيعة .

ومن أشهر أعماله في هذا المجال .. لوحتا : " أوديب ملكا " و" الفيل " وقد أعجب بهما الشاعر " بول إيلوار " فاشتراهما على الفور .

وكما برع " ماكس " في استخدام القلم الرصاص .. برع كذلك في استخدام الألوان .. خاصة الساخنة ، فلوحة "القبعة هي التي تصنع الإنسان" والتي انتهى منها في عام ١٩٢٠ على طريقة " الكولاج " – أو القص واللصق – تتخذ شكل " الدادية " لما فيها من سخرية في ترتيب الأشياء .

و " الكولاج " عند " آرنست " هو اللعبة الفنية المفضلة .. وهي التي جعلت منه واحدا من أهم الفنانين الطليعيين على امتداد العصر ..

وهو ما يظهر واضحا في إحدى لوحاته التي أطلق عليها "فتاة صغيرة" وقد انتهى منهـا في عام ١٩٣٠ .. ويعبر فيها " ماكس " عن نفسه من خلال صورة إنسان نصفه عصفور .. مشيرا بذلك إلى الإنسان وضميره .

وبمناسبة ذكر الضمير الإنساني .. فإننا نلاحظ تأثر " ماكس " بالتحليل النفسي الذي يغوص في أعماقه .. وذلك من خلال لوحته الشهيرة " عين الصمت " التي رسمها في عام ١٩٤٣ .

عندما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٦ .. وجد "ماكــس" نفسه في موقف حرج أمام مخابرات وقوات النازي .. فقرر الهجــرة إلى أمريكا عن طريق " مارسيليا " بمساعدة " بيجي جاجنهايم " التي كان قد تزوجهـــا.. لكنه بعد ستة شهور – فقط – انفصل عنها ليستقر به المقام في ولاية " أريزونا " بالقرب من " دوروثيه نياننج " وهي سيدة أمريكية كانت تعشق الفن حتى النخاع .

وفي عام ١٩٤٩ عاد " ماكس " إلى " باريس " مدينة الفن والجمال .. أو المنفى الاختياري كما يحب أن يطلق عليها .. وخلال خمس سنوات استطاع أن ينتهي مـــن ستين لوحة ، أقام لها معرضا في عام ١٩٥٤ فاز فيه بجائزة " بينالي " فينسيا الكبرى ..

وبالرغم من هذه المكانة التي وصل إليها " ماكس " وظل متربعا عليها.. إلا أنه كان – فقط – محل تقدير من نقاد الفن ورواده ومشجعيه .. دون أن يحظى بتقدير تجاري – أو مادي – يساعده على مواصلة الحياة بصورة كريمة !

أما إذا تناولنا " ماكس آرنست " المصور .. فنجد أنه – كما يقول المهتمون بدراسته – تأثر بنزهاته في الغابات على امتداد سنى طفولته وصباه .. كذلك تأثر بقراءاته المتنوعة .. خاصة الخيالية منها وما يتسم بالطابع الأسطوري ..

من هذا التأثير تولدت لديه خطوط السيريالية دون أن يدري عن النظرية شيئـــا .. ولعل هذا – أيضا – ما لمسه " بريتون " في خطوط " ماكس " وهو يفكر في السيريالية .. ويعترف " بريتون " نفسه بأنه لم يخترع السيريالية ، لكنه اكتشفها من خلال أعمال الفنانين الذين يأتي في مقدمتهم "ماكس آرنست" .

ومع هذا .. لم تكن السيريالية بداية الطريق بالنسبة لماكس .. وإنما كانت نهايته ..

أما البداية فتمثلت في " الدادية " التي برع فيها " جيورجيودي كيريكو " ومارسها بفهم ووعي ودراسة " ماكس آرنست " .: على الرغم من أن الدادية ولدت في " زيوريخ " وليس في " روما " .

والمؤكد – تاريخيا – أن الدادية والسيريالية لم تظهرا بالصدفة .. وإنما ظهرنا نتيجة لتفاعل الحركات الفكرية مع الحركات الفنية .. فيما بين الحربين العالميتين .. ولم يكن غريبا أن يسير " ماكس " في كلا الاتجاهين : الفكري والفني ، وهو المواطن الألماني الذي عانى وحشية النـــازي أكثر من غيره وقبلهم .

ويعترف " ماكس " بفضل " كيريكو " عليه – بالنسبة للدادية – وبفضل " هانز أرب " فيما يتعلق بالرسم بالشمع ، على طريقة تلاميذ المدارس .. فالدادية والشمع يشكلان روح الطفولة وحيويتها وهما – معا – يمثلان أسلوب " ماكس " الطفل الكبير والفنان الأكبر .

ومن خلال المزيج الرائع الذي صاغه " ماكس آرنست " من الفن -متمثـــلا في الألوان الواضحة- والفكر- متمثلا في إرادة الوجود- يصل

بنا إلى قمة المنهج الفلسفي الذي اختطه طريقا واضحا بسهولة ويسر في لوحته الشهيرة " أوكليد " التي رسمها في عام ١٩٤٣ .. وهي اللوحة التي تمثله خير تمثيل وتعبر عنه أبلغ تعبير .

أما أجمل لوحات " ماكس آرنست " على الإطلاق .. فهي لوحة " أم وطفل في حديقة مشمسة " وقد رسمها في عام ١٩٥٣ متخففا فيها من حدة الألوان .. وقد كانت هذه اللوحة من أبرز ما لفت أنظار الفنانين والنقاد فـــي معرض " ما وراء التصوير " الذي أقيم في عام ١٩٦٦ .. فالأشكال فيها بسيطة للغاية ، والألوان هادئة متناغمة بلا حدة أو نفــور أو تعارض أو حتى تقابل .. والفكرة – في الوقت نفسه – واضحة معبرة .

ومن اللوحات التي تبين تأثر " ماكس آرنست " بالأدب – خاصة "ألفريد جاري" الذي كشف له " باريس " من الوهلة الأولى ، على حد تعبيره، لوحة بعنوان " أرسو الأب والابن " .. وهي مستوحاة من رواية " جاري " الشهيرة " أوبو الأب " .. ويعبر فيها " ماكس " عن أسلوبه السيريالي وهو في أوج مراحله .. وقد رسمها في عام ١٩٦٦ وكانت إحدى لوحات معرض " ما وراء التصوير " .

وما دمنا بصدد ذكر السيريالية لدى " آرنست " فلابد أن نذكر لوحته الشهيرة " طفلان يطاردهما الكروان " التي رسمها في عام ١٩٤٤ ، فور إعلان " مانيفستو " السيريالية مباشرة .

وكما أن " آرنست " تأثر بالأدب في أعماله .. فقد تأثر – أيضا – .. بالحرب .. وكانت أبرز لوحاته في هذا المضمار ، لوحة " أوروبا بعد المطر " التي رسمها خلال عامي ١٩٤٠ – ١٩٤١ .. ويعبر فيها عن ويلات الحرب ودمارها .. حيث يظهر اضطراب الأشكال والألوان والخطوط

والمساحات الفارغة والمكدسة .. وكذلك الاختلاط بين الأشياء والبشر ، والمأساة المجسدة بين النور والظلام ، فوق الوجوه وداخل النفوس .

هذا هو " ماكس آرنست " أحد عمالقة الرسم التصويري في جيل العمالقة على جميع المستويات الفنية والفكرية والأدبية .. حيث كان الفرد يؤثر في المجموع .. والجماعة تؤثر في الفرد .. وحيث كان الفنان أديبا ومفكرا في وقت واحد.. كما كان الأديب فنانا ومفكرا ، والمفكر فنانا وأديبا.

هذا هو " ماكس آرنست " الذي وصفه الشاعر " بول إيلوار " بأنه فنان وكاتب وشاعر رفيع المستوى ، وفيلسوف ينظر إلى الحياة من خلال الحكمة لكي يحطم مآسي الواقع .. فهو لا ينغلق على نفسه داخل أطر محددة لكنه يتحرك – بحرية كاملة – عبر الأوطان .. فلا وطن واحد له .. وعبر اللغات.. فهو يجيد أكثر من لغة .. وعبر النساء .. فليس له زوجة واحدة .. وعبر الأساليب .. فهو يتبع بأكثر من أسلوب ، ولا يكف عن الاكتشاف والابتكار حتى في عناوين لوحاته .

هذا هو " ماكس آرنست " الذي قال عنه الشاعر " رونيه شار " : كانت السيرياليــة – وهي في مهدها – في حاجة إلى ماكس الذي قرأ هيجل وأدرك حاجة بريتون إلى من يطبق نظريته على المستوى الفني ، فقدم لوحته " المرأة مائة رأس " و" الثورة الليل " نموذجا يكمل رؤية لوتربيامون ودوكاس على المستوى الأدبي .. وبفضل آرنست لم تمت السيريالية منتحرة، كغيرها من التيارات الفنية ، ولم تستمر في طريق مظلم ، ولكنها أدت دورها كاملا ورحلت بكل الحب والإعجاب والتقدير .. " .



(خوان ميرو .. شاعر الخط واللون)

(١٩٩٣ - ١٩٨٣)

Joan Miró.

شمس الجراح سجينة رأسي

تحرق التل وتحرق الغابة

السماء أجمل من أي وقت مضى

وفراشات الأعناب

ترسم عليها أشكالا محددة

أنثرها بحركة واحدة

* * *

سحب اليوم الأول

غيوم خفيفة ولا مشروعة

شرانــقــهــا تحــتــرق
في نار نظراتي الهشيمية

*   *   *

وفي النهاية ، لكي يمكن التدثر بالفجــر
لابد أن تكون السماء أيضاً في نقاء الليل

*   *   *   *   *

الفنان التشكيلي الأسباني خوان ميرو الذي رحل ليلة الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٩٨٣ وكان قد ولد عام ١٨٩٣ مع بيكاسو ودالي ، ذلك الثلاثي الأسباني الذي حقق شهرة عالمية ، في دنيا الفنون التشكيلية ، وإن اقترب ميرو كثيرا من بيكاسو فيما يتعلق بنوعية الممارسة الفنية فقد عرفا في الأساس كمصورين وإن مارسا أيضا النحت والحفر والسيراميك والزجاج والرسم .

كان ميرو سيرياليا ، منذ حصل على جائزة بينالي فينسيا لعام ١٩٥٤ ثم جائزة اليونسكو عام ١٩٥٩ بعد أن صمم ديكورات مبناها بباريس ، ثم جائزة التصوير العالمية لعام ١٩٦٧ .

وقد كرمته الحكومة الفرنسية ومدينة باريس عند بلوغه الثمانين فعرضت كل إنتاجه الفني الذي انتشر بعد ذلك في أنحاء العالم .

أما ملامح ميرو فتتميز بوجه شاب باسم وعينين براقتين نفاذتين وتصرفات بورجوازي متواضع وفنان متطلع ، وأما ملامح رسوماته فقد كانت تتسم بالطفولة وإن كانت تنطوي على فكر عالم .

انتقل ميرو إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى ولكن صلته لم تنقطع ببلاده مثلما فعل بيكاسو .. وفي ذلك قال : " إنني محتاج جسديا لبلادي ، لأرضي وسمائها وشمسها .. " .

كانت رغبته ملحة وهو بعد في سن الثامنة من عمره في أن يصبح فنانا ولكـــن والده الساعاتي كان يحلم بمستقبل آخر لابنه .. وفي عام ١٩٢٢ أكمل ميرو لوحة " العقل " التي قال عنها هيمنجواي " فيها كل ما تشعر به وأنت في أسبانيا وأيضا كل ما تشعر به وأنت خارج أسبانيا .. " وفي عام ١٩١٨ استقبله بيكاسو في باريس وشجعه وعاونه وقال له " الفن الخالص يتمثل في العمـــل حتى في رسم صغير على حائط كبير .. " ومد عمل ميرو بتلك الحكمة .

بدأ ميرو واقعيا وحرفيا ومحترفا ، ولكنه تأثر بداية بيكابيا الذي التقى به في برشلونـــه وبديوان " الشاعر المنتحر " للشاعر أبوللينير ، فأخذ يبحث عن فن طليعي .

والتقى ميرو بماسون الذي عرفه على الفنانين والشعراء والأدباء وبصفة خاصة أندريه بريتون الذي أصدر عام ١٩٢٤ "المانيفستو السيريالي"

وبدأ ميرو حياة جديدة ومرحلة جديدة في فنه الذي انتقل فجأة من الواقعية إلى السيريالية بعد أن استراح قليلا على حدود الدادية .

واكتشف ميرو أشعار إيلوار ولوحات بول كلي ، فأخذ عنهما تناسق الشكل وتوحده من ناحية وثراء الألوان وخصوبتها من ناحية أخرى .. كما جمع بين التشخيصية والتجريدية في آن واحد.. كذلك تأثر ميرو بكاندنسكي فحول العناصر المحددة والمجسدة إلى خطوط قوية ومساحات واضحة ، وفجر عالمه الشعري والشعوري الخاص به في نهاية المطاف .

هذا العالم الشعري والشعوري ظهر واضحا في لوحة " كرنفال " التي رسمها عام ١٩٢٥ ولفتت إليه الأنظار بحيث أصبح اسمه وفنه مستقرين تماما .

وتدفقت أحلام ميرو على لوحاته ، مليئة بالرؤى والنبضات والمعاني والأفكار التي تحلق في سماء مرصعة بالنجوم المتوهجة دون أن تنفصل عن الأرض ، وهي الأرض الأسبانية الحارة بصفة خاصة .

عالم عجيب وساحر حقا ، جعل تجار الفن يتهمونه بالجنون ، فتركوا لوحاته .. ولكن عشاق الفن لم يتركوها ، كانوا يهرعون إلى مرسمه وإلى

معارضه الخاصة والمشتركة وكانوا يشترون اللوحات ويهدونها لميرو مرة أخرى .

وإزداد ميرو إصرارا وصلابة فرسم لوحة طولها ثلاثة أمتار فارغة تماما إلا من بقعة زرقاء في أقصى اليمين العلوي وخط مزدوج أقصى اليسار السفلي وصفار بيضة في الوسط .

ولكنه اشترك مع ماكس آرنست في تصميم ديكورات مسرحية "روميو وجولييت" بتشجيع من السيريالي الأول أندريه بريتون ، وبدأت مغامرة جديدة في حياة وفن ميرو فقد دعي إلى هولندا ونيويورك حيث عرض لوحاته من الحفر والتي أطلق عليها تسميته " الفن الفقير " .

هذا الفن الفقير هو الذي دعا النقاد إلى التساؤل : هل يعد ميرو فنانا ملتزما ؟

وعلى الرغم من أن ميرو كان يرفض هذه الصفة وذلك التصنيف إلا أنه اضطر أثناء الحـــرب الأسبانية الأهلية وبعد ضرب قرية جرنيكا إلى الالتزام بنوع من الالتزام ، وهو مناصرة شعبه ووطنه ، فرسم أفيشات واشترك في المعرض العالمي لعام ١٩٣٧ وتناول في لوحات الجواش أو الألوان المائية مأساة الموت والوحشية .

وانتقل ميرو بفنه إلى مرحلة العطاء الخصيب ، فقد كان يعمل بحماسة بالغة وجهد موفور مركزا في عطائه على إدخال الإحساس بالحياة الجميلة المليئة بالتفاؤل إلى جمهور المتلقين ، ولكن الجمهور كان يلحظ دائما نبرة الحزن والآسى الكامنة وراء الألوان المبهجة والخطوط الانسيابية .

وفي مرحلة متقدمة كان ميرو يتطلع إلى الجماهير العريضة ، فكان يرسم (عملا بنصيحة بيكاســو) على الجدران ، ولذلك عاد في مرحلة متأخرة إلـــى الرسم على المساحات الكبيرة في الأماكن الشهيرة مثل اليونسكو في باريس ومطار برشلونه وقاعة الدفاع الكبرى التي أكثر فيها من الموازييك والنحت ، وحديقة النافورات .. حتى أنه قال ذات مرة والسعادة تغمره بعد أن رأى الجماهير الغفيرة تشاهد أعماله الفنية في هذه الأماكن الشهيرة : " لقد عرفت الناس أعمالي وتعرفت على شخصي ، أنهم زوار يوم الأحد الشعبيين فانهارت الدموع من عيني ، دموع السعادة ، والنجاح .. ودمعت عيناه مرة أخرى وهو يفتتح في عام ١٩٧٥ ، المعهد العالي للفنون الذي يحمل اسمه ببرشلونه والملحق به متحف يضم أعمال ميرو التي جمعت مـــن أنحاء العالم ، الأمر الذي دفع ميرو إلى التبرع بمائة وخمسين لوحة من الحفر والرسم .

لقد كان هذا المتحف هو ثالث مجمع فني لميرو في حياته أما الأول فقد نظمه متحف الفن الحديث بنيويورك عام ١٩٤١ ، وأما الثاني فقد أقيم في باريس عام ١٩٧٤ بمناسبة بلوغه الثمانين .



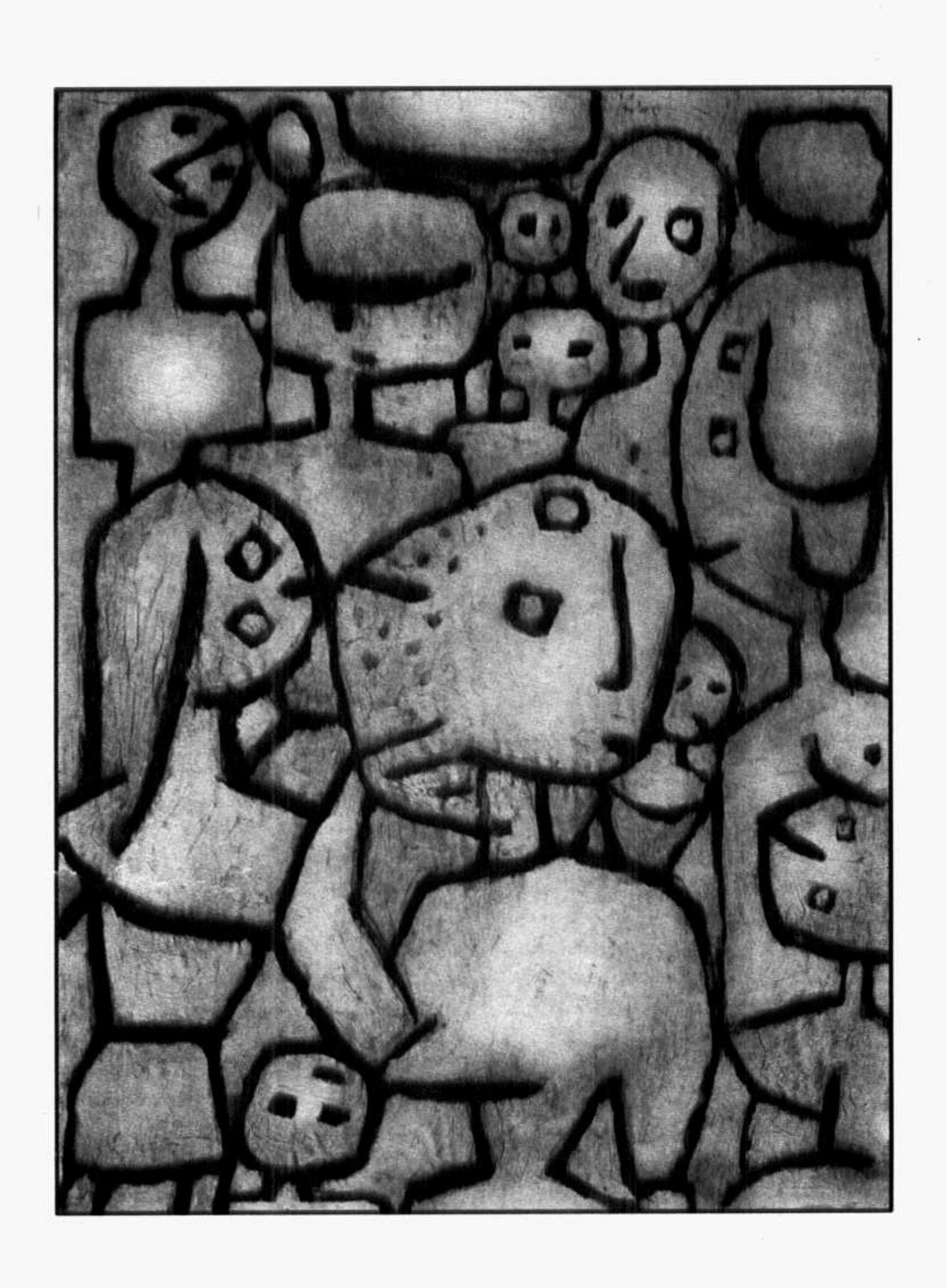


ملحق

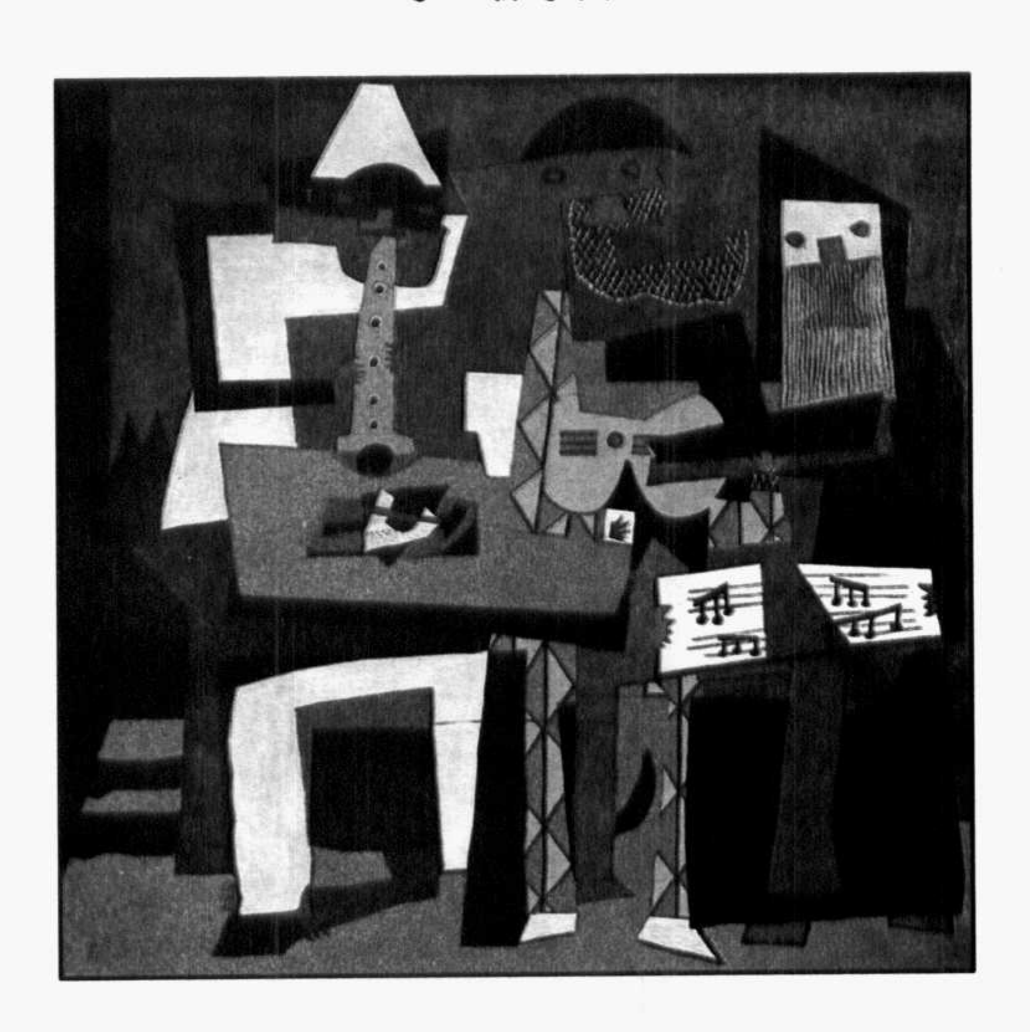
لوحات الفنانين

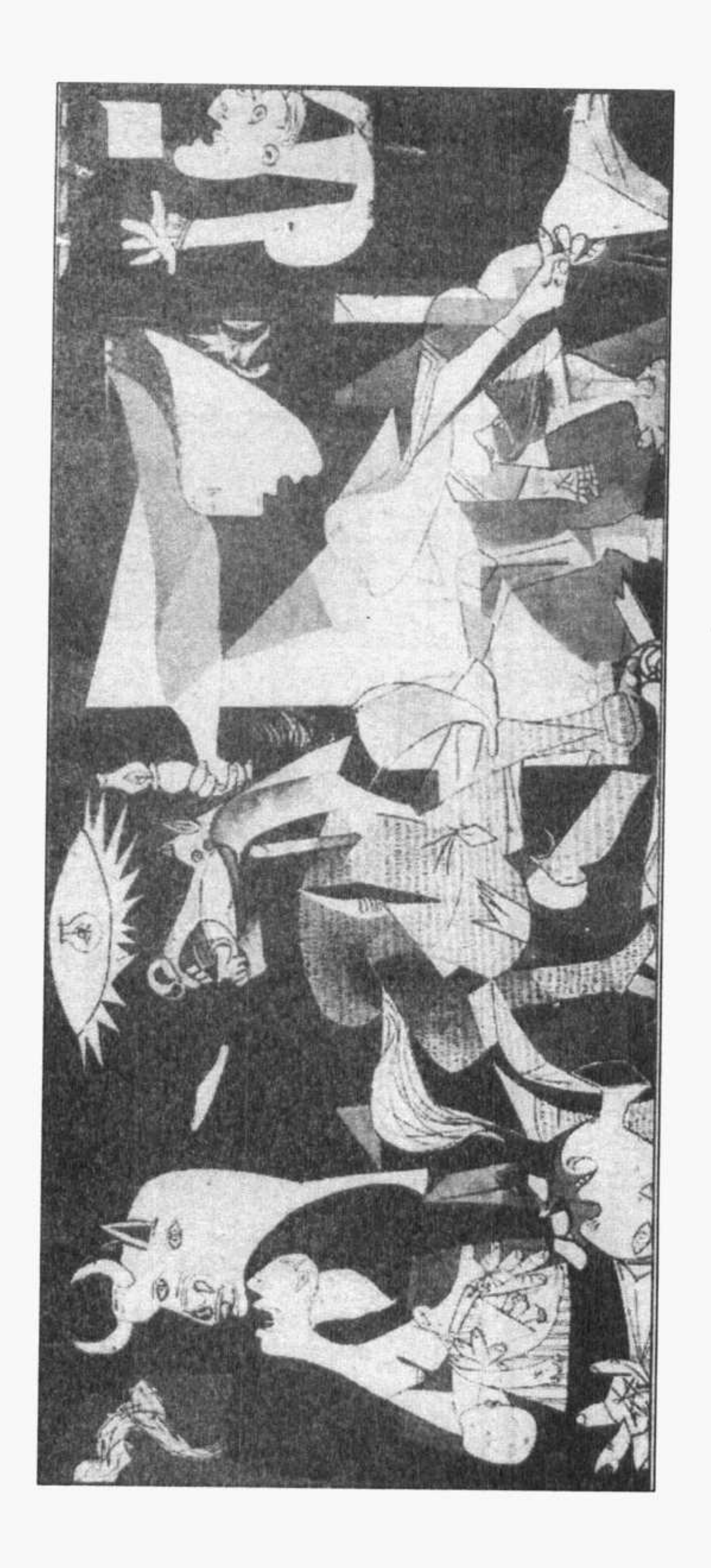
بول كلي

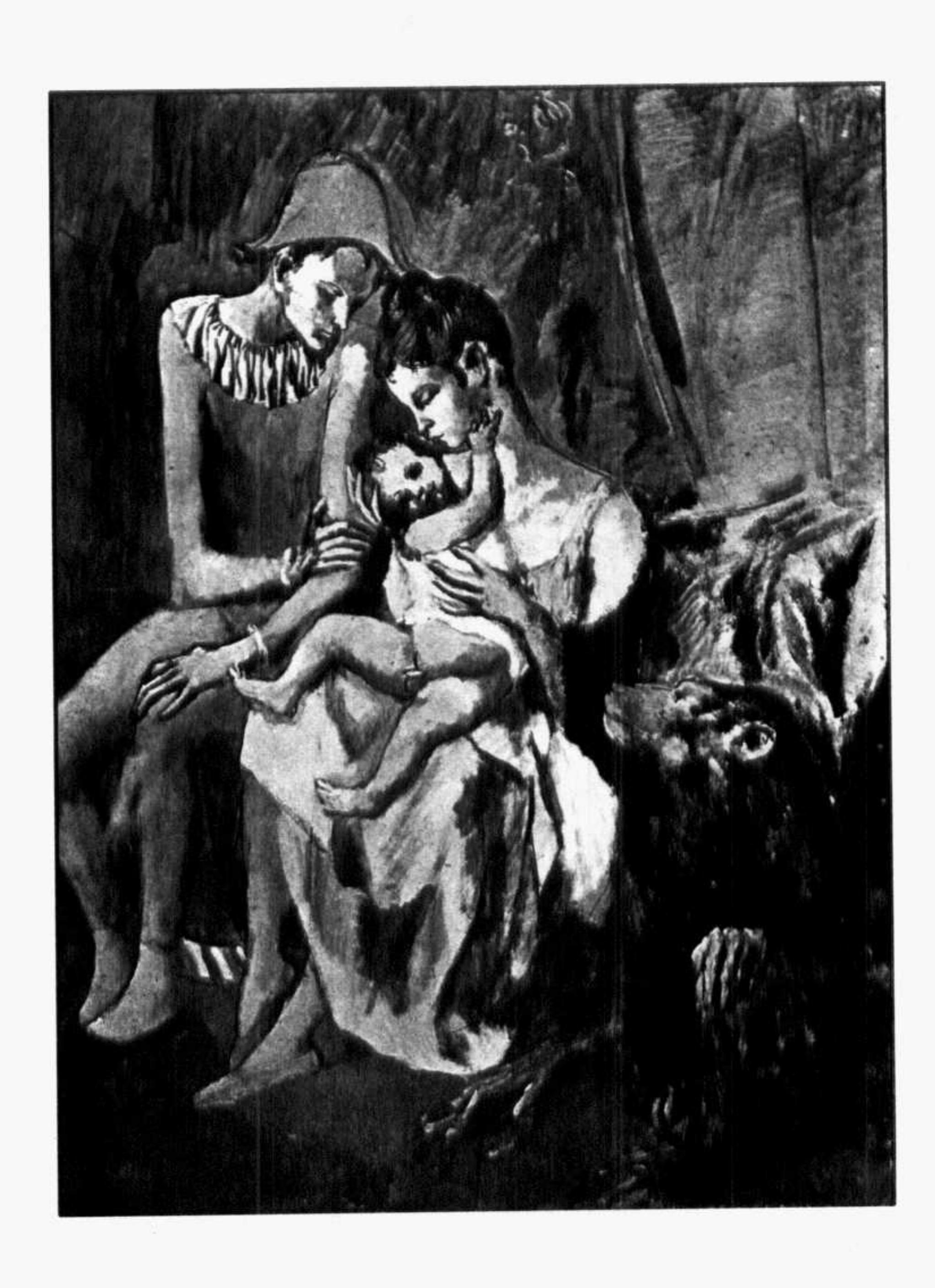




بابلو بيكاسو

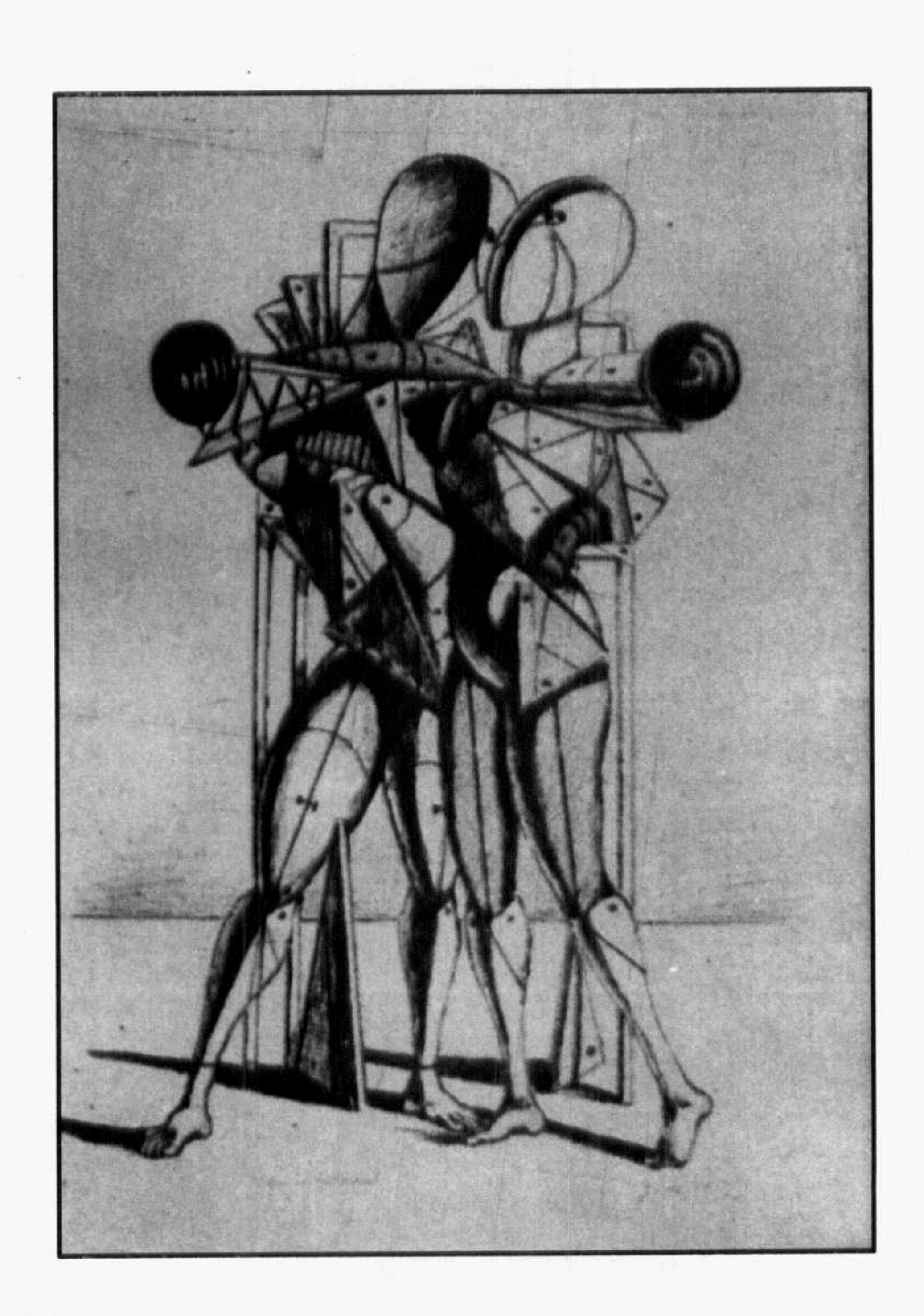


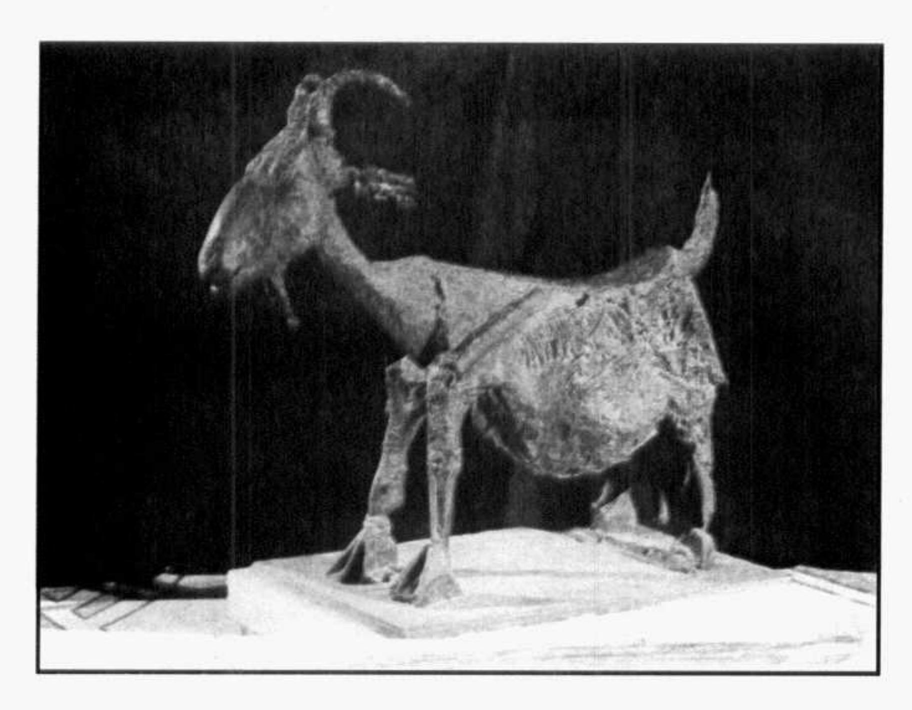








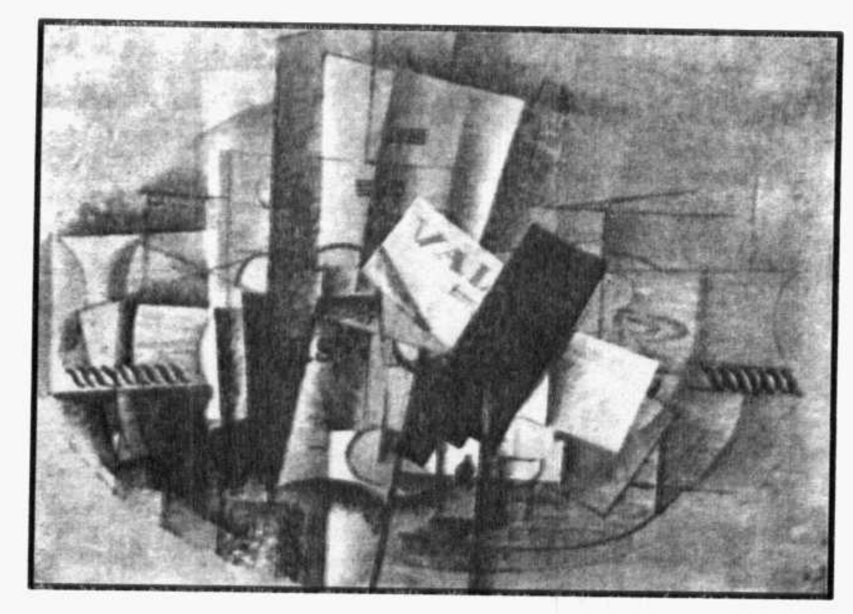


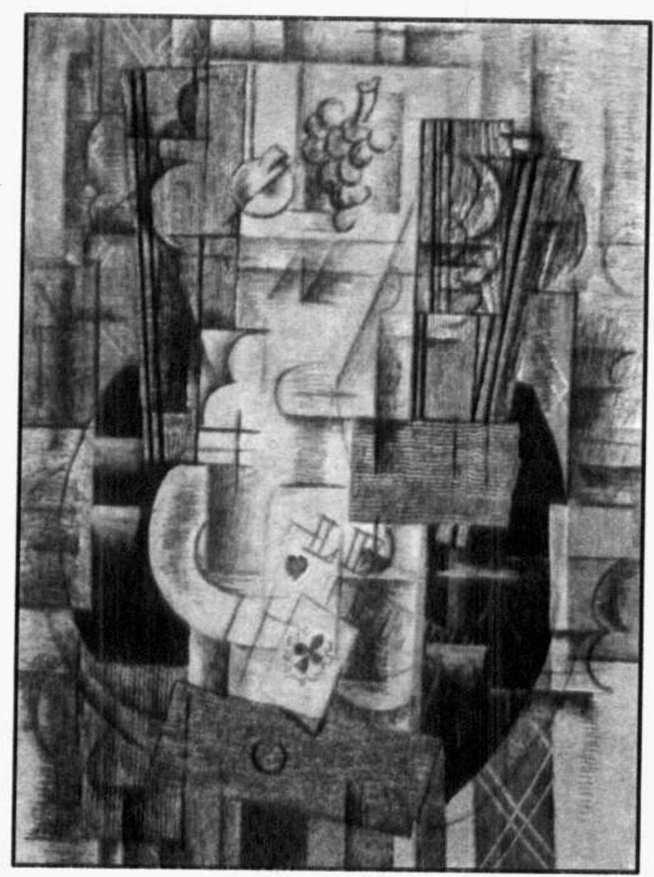


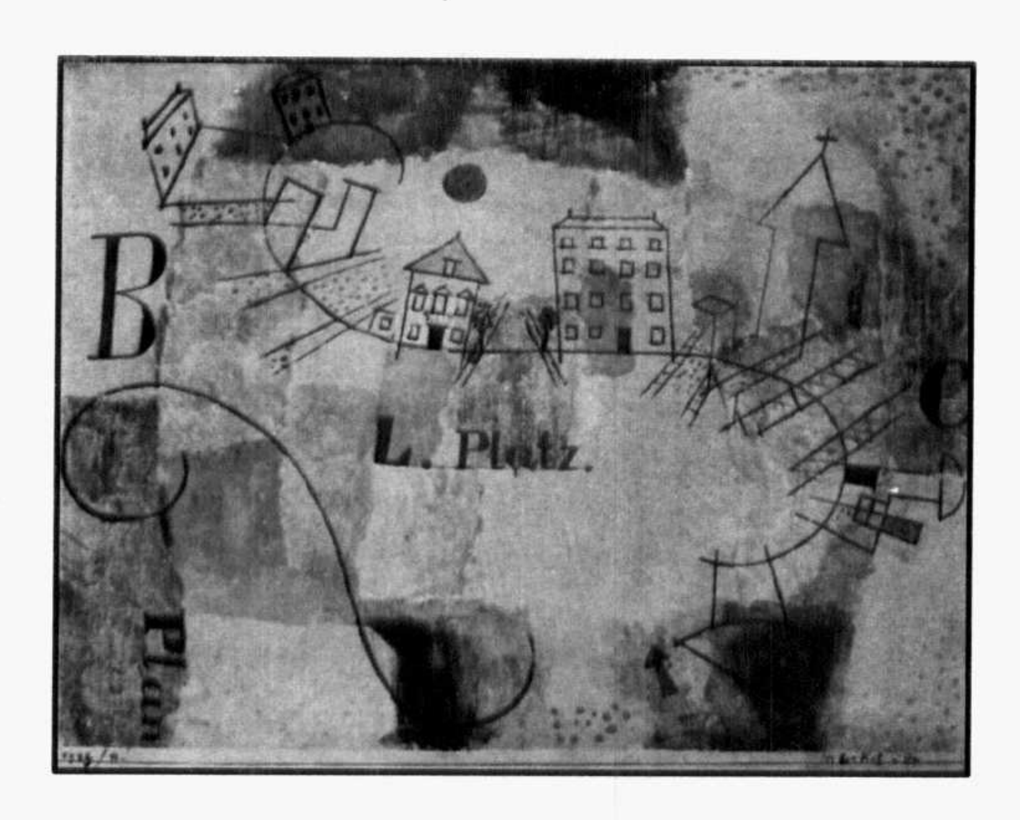


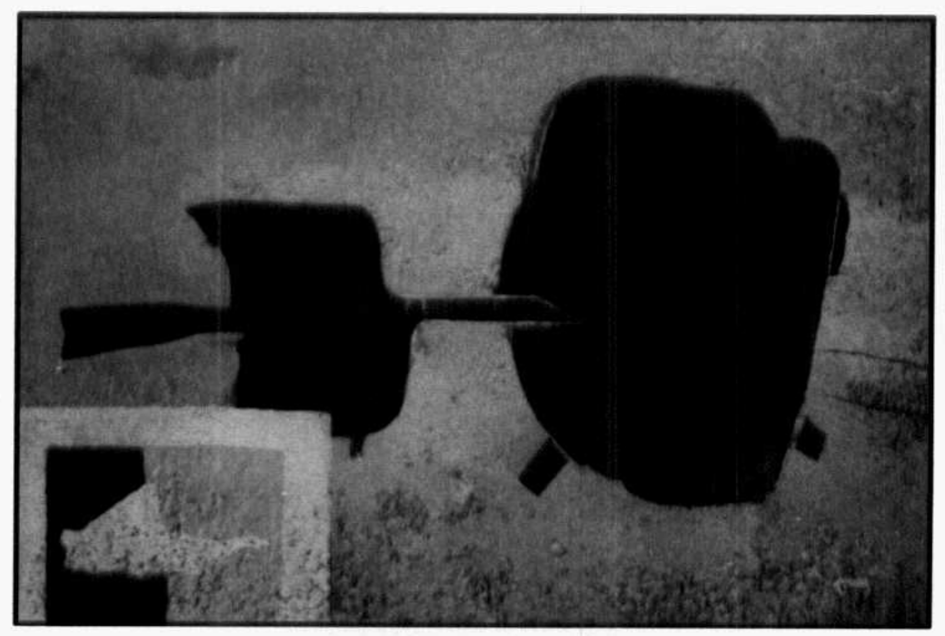
جورج براك



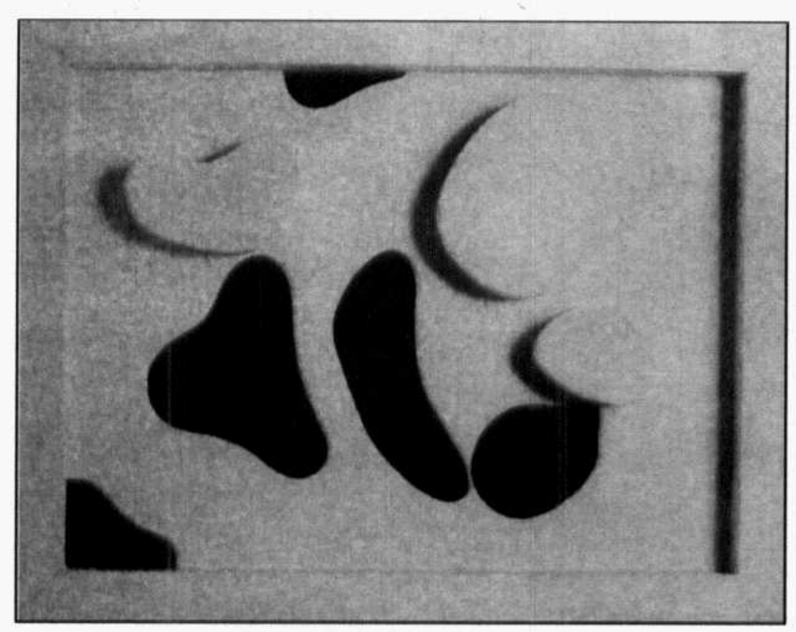

VAL

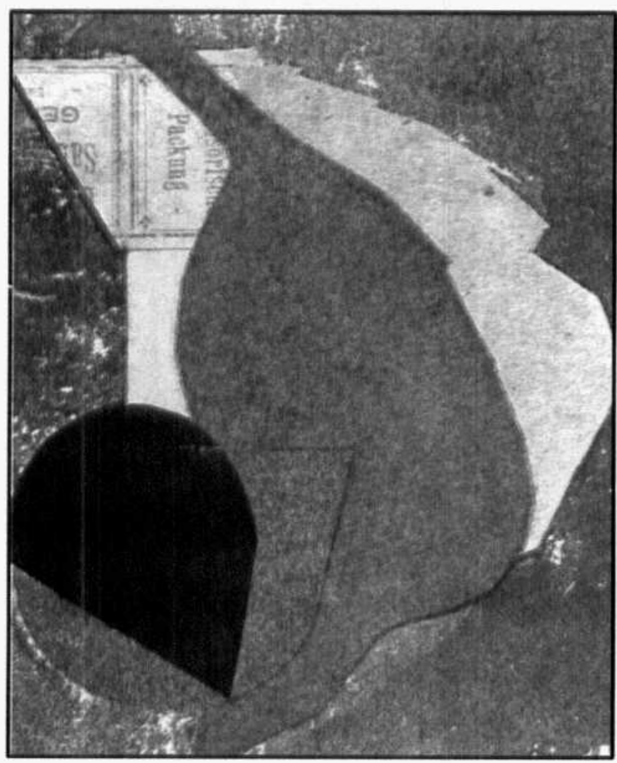



B
L. Platz.
Plan

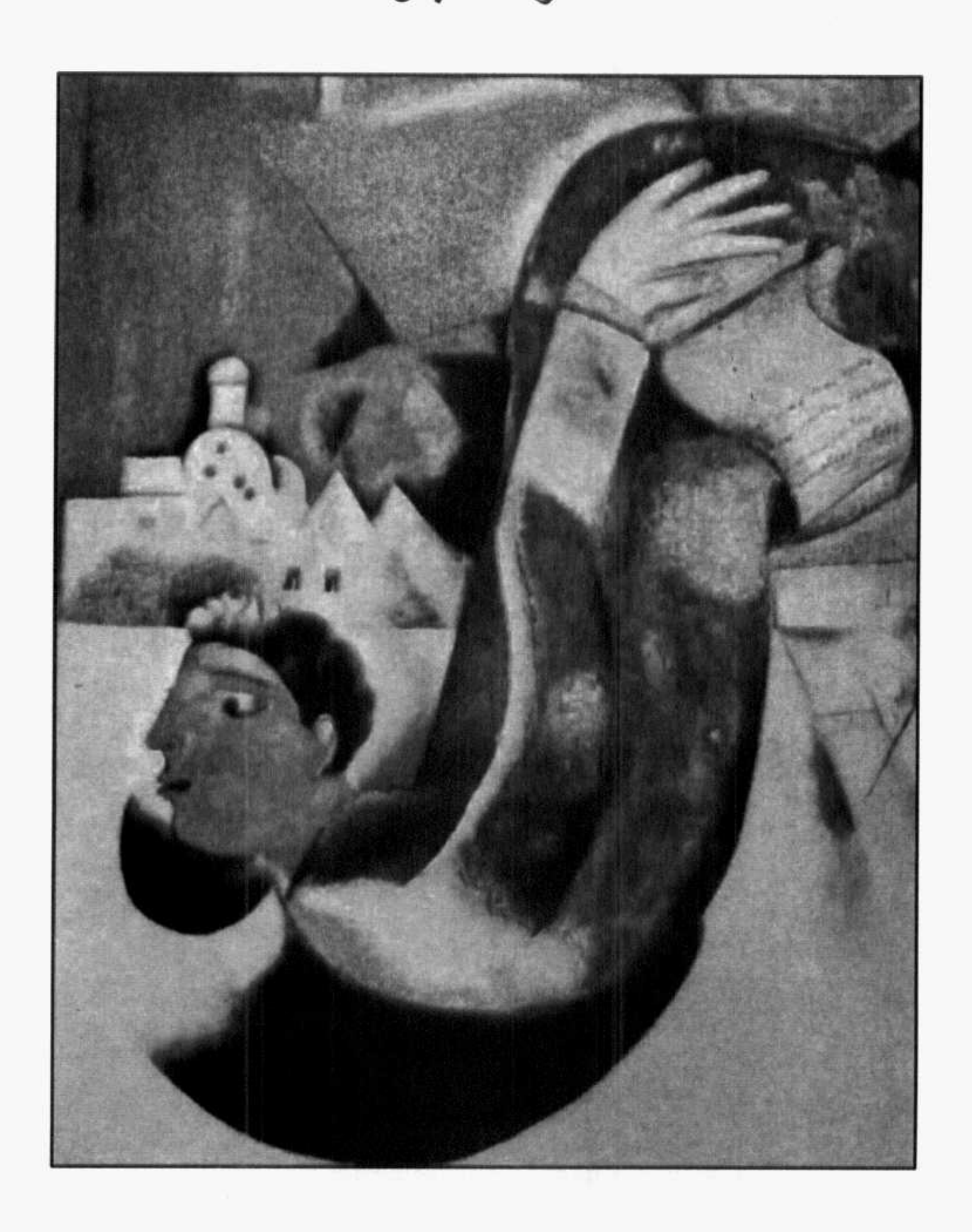


جان آرب





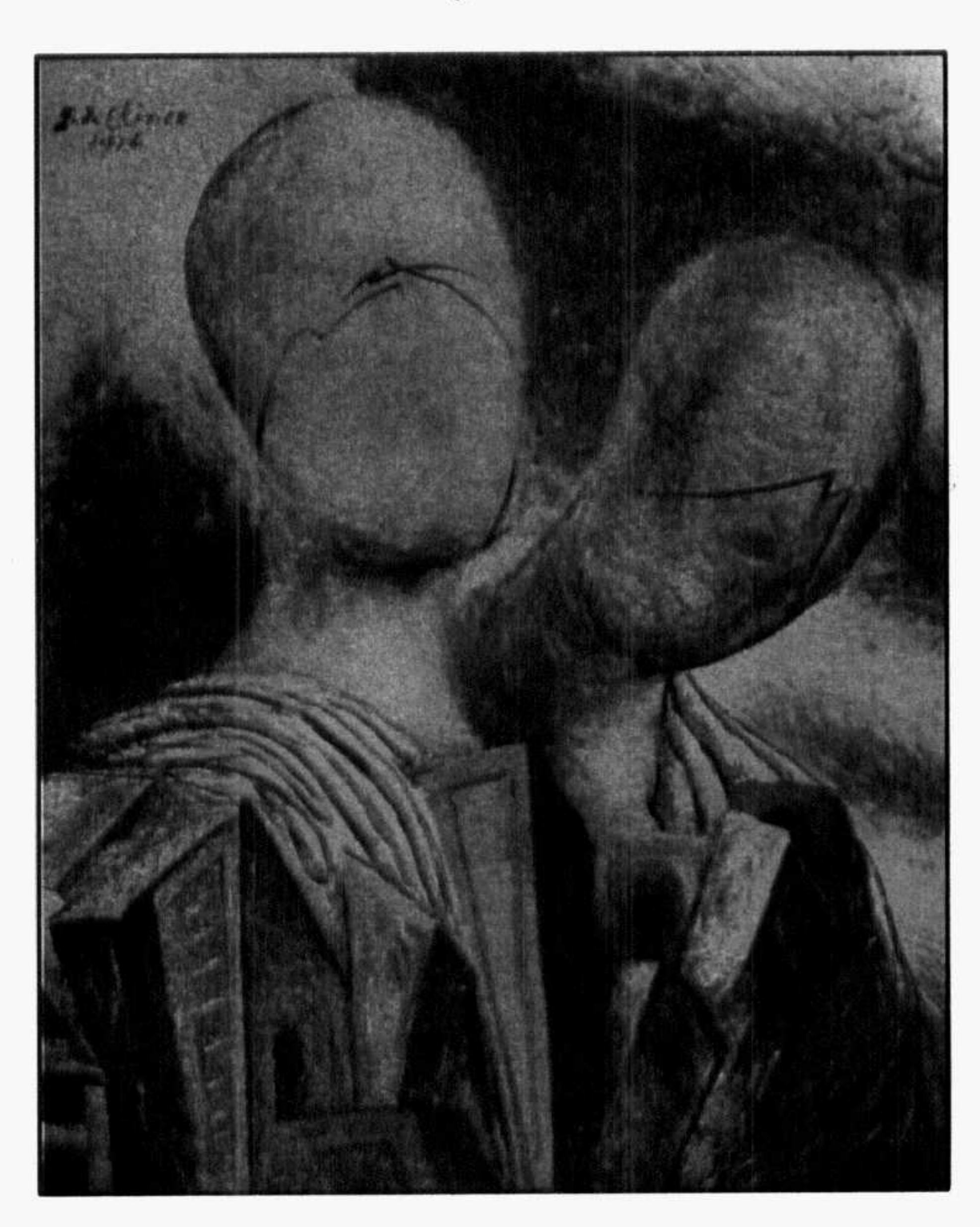
مارك شاجال

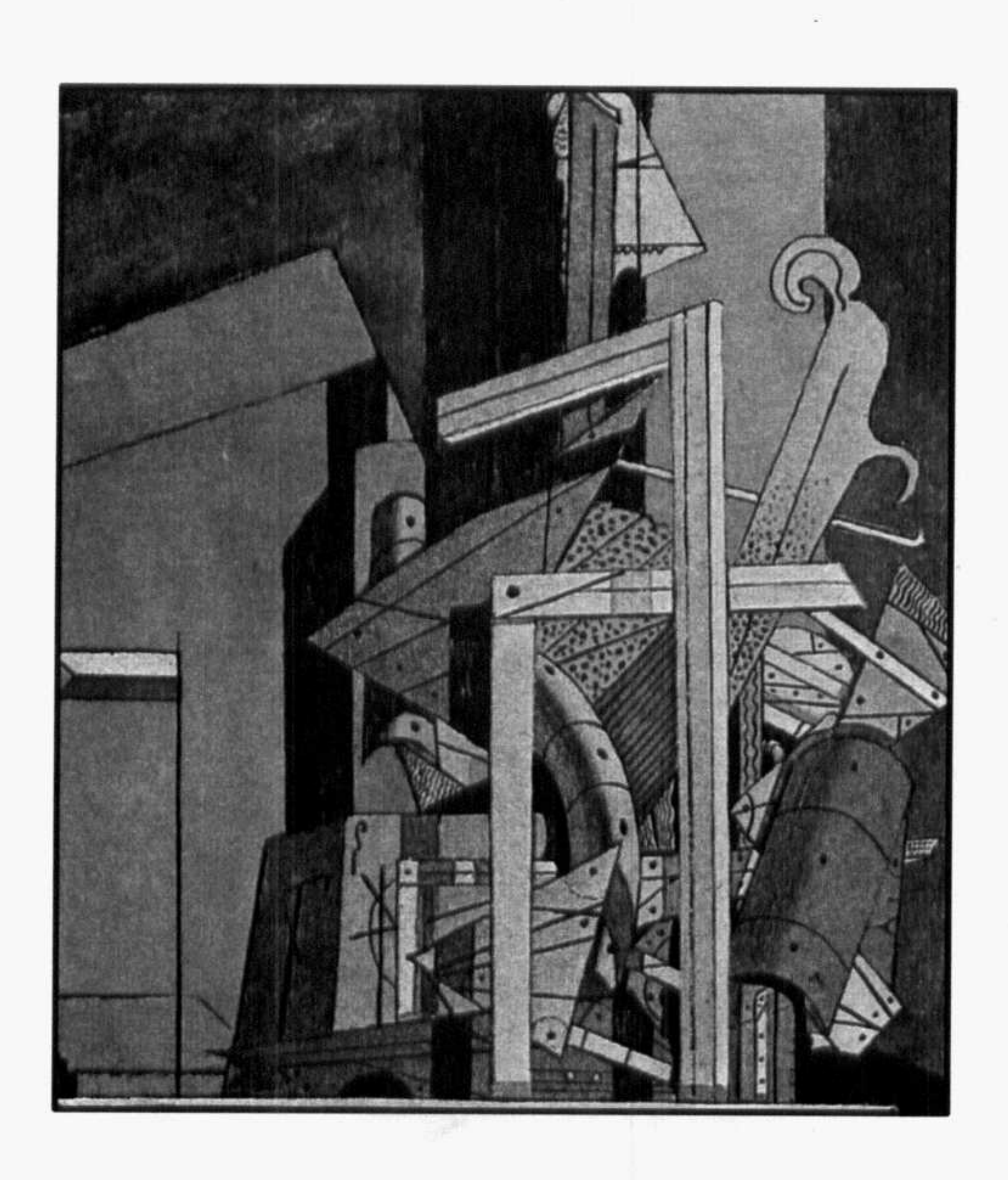






جيورجيو دي كيريكو

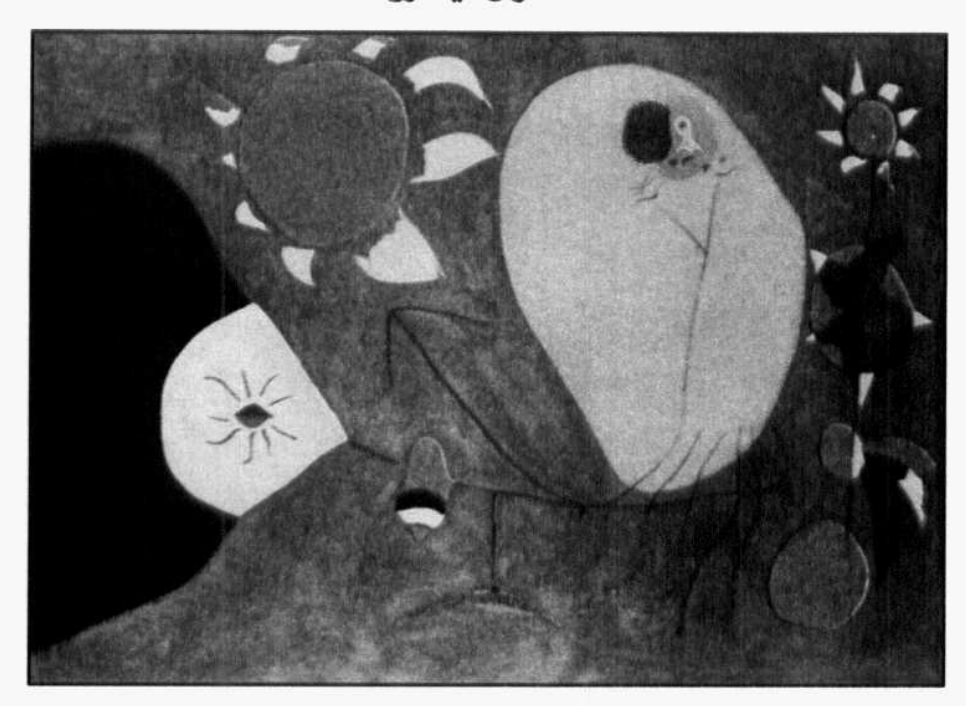


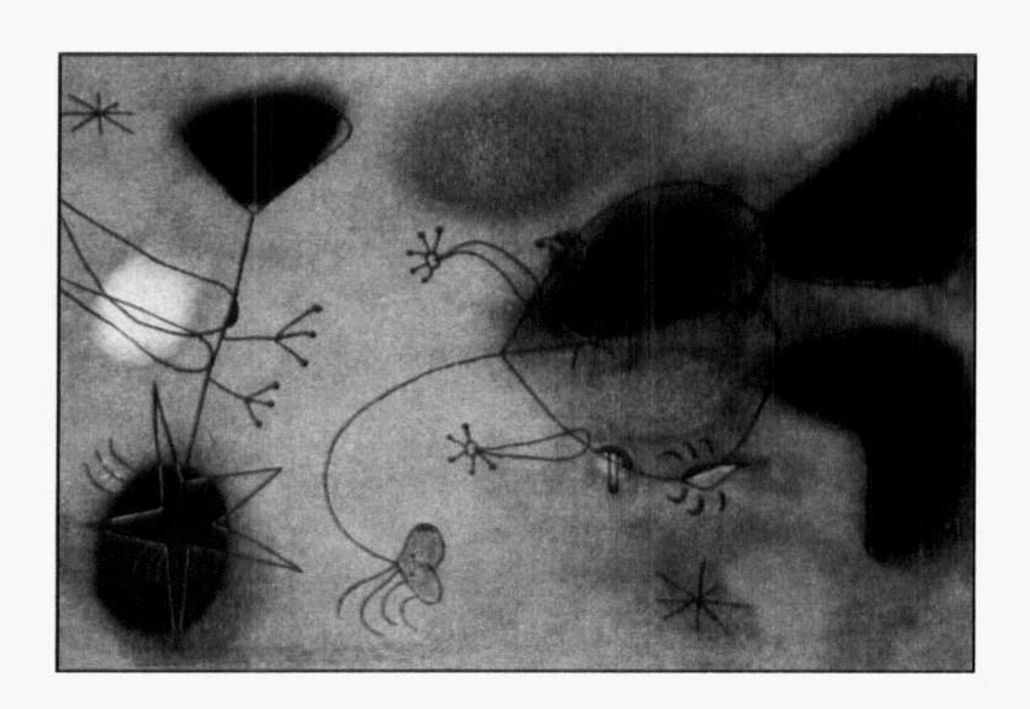


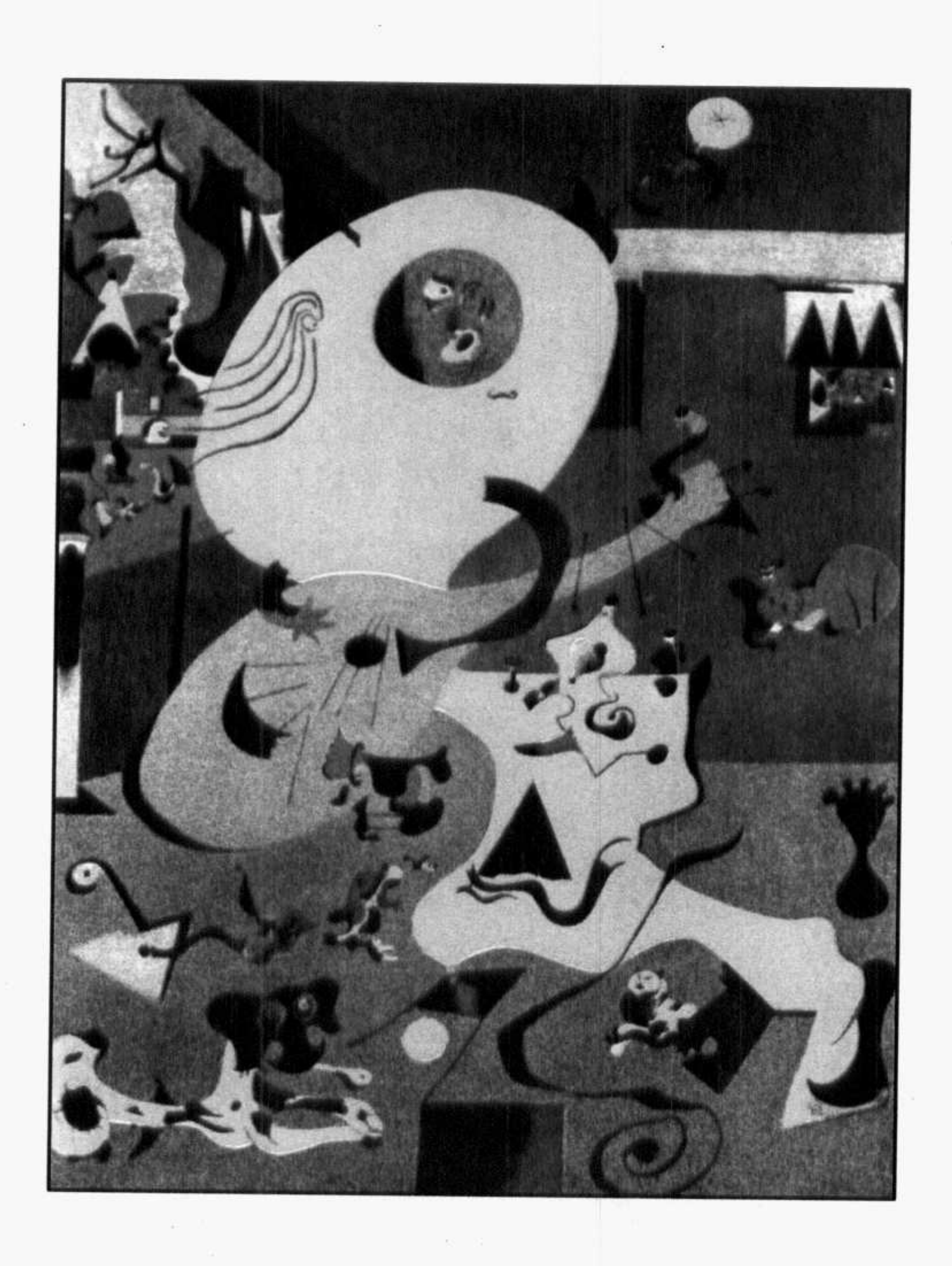
ماکس آرنست

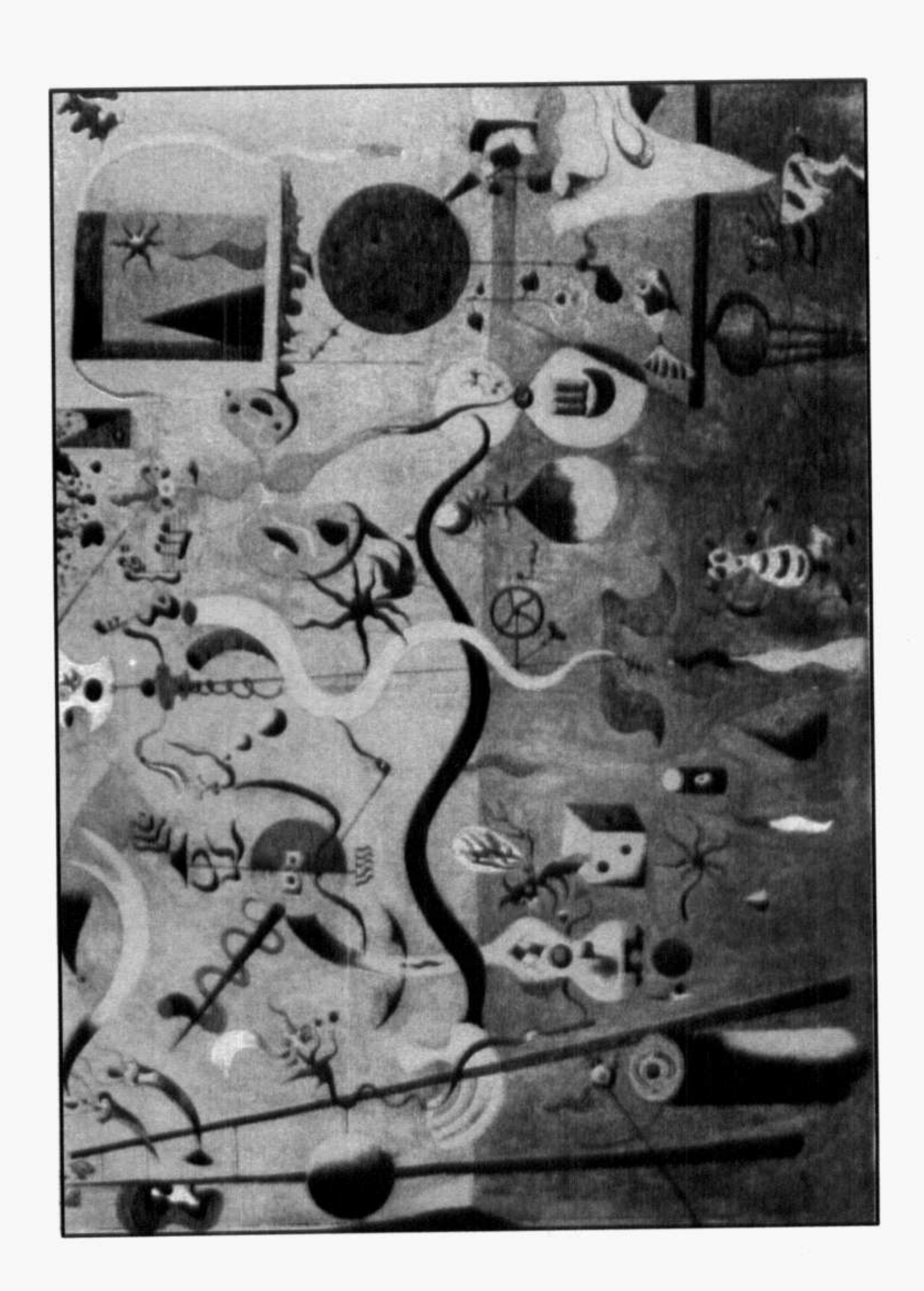












رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١١٢٩٢
ISBN : 977-281-278-9

مطابع الدار الهندسية